كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

المسكوت عنه في تعليم غير الناطقين
جهود غير العرب في خدمة اللغة العربية وعلومها
محمود الكاشغري نموذجاً

إعداد

د/ شحاتة عبد الرازق أبوشوشة

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية
جامعة الأزهر

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الأول ـ الجزء الأول)

(١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)

جهود غير العرب في خدمة اللغة العربية وعلومها
" محمود الكاشغري نموذجاً "

شحاتة عبد الرازق أبو شوشة

قسم البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية – جامعة الأزهر – الإسكندرية – مصر

البريد الإلكتروني : drshata2020@yahoo.com

الملخص :

اتجهت هذه الدراسة إلى تقديم نموذج فذ وفيلسوف لغوي (محمود الكاشغري) وكتابه (ديوان لغات الترك) لأن نشأة الكاشغري في القرن الخامس الهجري جعلته من أوائل غير العرب الذين بذلوا جهودًا كبيرة في خدمة العربية ، مع تفرده باستهداف كتابه تعليم العرب لغة الترك ولهجاتهم ، ويعد ديوانه أول معجم حفظ لغة الترك ولهجاتهم من الاندثار، ويعد محمود الكاشغري بما سطره رائدًا في مجال التواصل الحضاري والثقافي بين العرب والترك ، عدم التفات الباحثين العرب إلي عالم لغوي كبير قدم للعربية خدمة كبيرة وربط أبناء أمته بها. وقد تقدم هذه الدراسة تمهيد : وفيه عرفت باللغوي محمود الكاشغري وكتابه، وفي المبحث الأول تحدثت عن الثقافة الإسلامية والعربية والقيم التربوية عند الكاشغري، وفي المبحث الثاني كان الحديث عن المعجم اللغوي بين العربية ولهجات الترك، وفي المبحث الثالث كان الحديث عن القضايا النحوية والصرفية بين العربية ولهجات الترك ، وكان في المبحث الرابع الحديث عن اللغة العربية التي هي جسر التواصل الحضاري والثقافي بين العرب والأتراك. وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن معجم (ديوان لغات الترك) قصد منه تعليم العرب لغات(لهجات) الترك، وقد بناه على منهجية العرب في معاجمهم، وقد اختار كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي واتبع طريقته إلا أنه خالفه بأن ترك المهمل حتى

لا يثقل على قارئه العربي، وقد جعل أسامي أبوابه عربية، لتكون عونًا لسرعة الفهم وسهولة التناول، وتناول العديد من القضايا النحوية والصرفية ومقارنة بعضها، بما في العربية كما احتوى الديوان على الكثير من الشواهد الشعرية في أغراض عديدة، وشرحها باللغة العربية الخالدة .

الكلمات المفتاحية : جهود – غير العرب – خدمة – محمود الكاشغري – ديوان لغات الترك.

The efforts of non-Arabs to serve the Arabic language and its sciences Mahmoud Al-Kashgari as a model

Shehata Abdel Razek Abo Shosha
Department of Rhetoric and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies - Al-Azhar University- Alexandria – Egypt .
Email : drshata2020@yahoo.com

Abstract :

This study aimed to present a unique model and linguistic philosopher (Mahmoud Al-Kashgari) and his book (Diwan of Turkish Languages) becaus The emergence of Al-Kashgari in the fifth century AH, making it one of the first non-Arabs to exert great efforts in serving Arabic, and His uniqueness by targeting his book Teaching Arabs the Turkish Language and Their Dialects. His diwan is the first glossary of preserving the Turk language and their dialects from extinction. Mahmoud Al-Kashgari is considered a pioneer in the field of civilizational and cultural communication between Arabs and Turks. Added to the above The lack of attention of Arab researchers to a great linguist who provided Arabic with great service and linked his nation's sons with it. This study may provide a preliminary, and in it I talked about the linguist Mahmoud Al-Kashgari and his book. In the first topic, I talked about the Islamic and Arab culture and educational values of Kashgari. And in the second topic it was talk about linguistic dictionary between Arabic and Turkish dialects. The third topic was about grammatical and morphological issues between Arabic and Turkish dialects. It was in the fourth topic to talk about

Arabic, which is the bridge for cultural and civilized communication between Arabs and Turks. And at the end of the search It was found that a book (the Turkish Languages divan) intended to teach Arabs the Turkish languages (dialects). He built it on the methodology of the Arabs in their dictionaries. He chose the book Al-Ain to Khalil bin Ahmed Al-Farahidi and followed his method, but he did not mention unused words so as not to burden his Arab reader. he wrote the names of the subjects with Arabic names, to be of assistance to the speed of understanding and ease of handling. He tackled many grammatical and morphological issues and compared them to Arabic. The Diwan contained a lot of poetic evidence in many purposes, and its explanation in the literary Arabic language.

Keywords : efforts - non-Arabs – serve - Mahmoud Al-Kashgari - Diwan of Turkish Languages

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وإمام رسله.

وبعد:

يدرك كل مهتم بتعليم العربية لغير الناطقين بها همة ونشاطًا يسودان هذا الميدان في بلاد الشرق والغرب على السواء، ومن دواعي هذه الهمة وذاك الاهتمام والعمل الدءوب تأليفًا للمناهج وتدريبًا للمعلمين عربًا وعجمًا- الإقبال اللافت على تعلم العربية، لأهداف عديدة تعدت البعد الديني والمحافظة على الهوية إلى البعد الاقتصادي والتجاري.

ولا يخطئ النظرُ المسكوتَ عنه وسط هذا التنافس في خدمة العربية وترك مالا يمكن تركه، وهو الموروث الكبير الذي تركه العلماء غير العرب قديمًا وحديثًا، والجهود الرائدة في خدمة لغة الضاد تأليفًا وتعليمًا ودعوة شعوبهم إلى تعلم هذه اللغة المبدعة.

والبحث والتنقيب في هذا الجانب وإظهار ما قام به أهل العربية وغيرهم- يتيح للمشتغلين في هذا الميدان تأصيل علوم ومناهج تعليم العربية لغير الناطقين بها وتأريخها، فتبنى قواعده وتؤسس مبادؤه، حيث إن الواقع الآن مبني على نظريات تعليم اللغات الأخرى، واستراتيجيات تقديمها في قاعات الدرس، فظهرت أشجار بلا جذوع، وفروع بلا أصول، ومن ثم أثمرت الجهود الكبيرة ثمارًا غير يانعة، وبتوجه الباحثين إلى الأمرين بتأصيل التخصص وتقريب نظريات أصحاب اللغات الأخرى وبخاصة اللغة الإنجليزية، سنربح أجيالًا من غير الناطقين بالعربية تميزوا في اكتساب العربية وآدابها، وتفوقوا في خدمة علوم العربية وثقافتها، كما خدمها أجدادهم.

ومن ثم اتجهت إلى تقديم نموذج فذ وفيلسوف لغوي (محمود الكاشغري) وكتابه (ديوان لغات الترك) لأجعل منها انطلاقة واعية تهدف إلى دعوة المنشغلين بتعليم العربية لغير الناطقين بها من ذوي الخبرة والبصيرة إلى إدخال هذه النماذج التي خدمت العربية في مناهجهم، ولأحيي سيرته في نفوس طلاب العربية من الذين ينتمون لشعوب آسيا الوسطى، ليكون ذلك داعمًا لتعلمهم ومحفزًا لهمتهم.

وأسباب اختياري لهذه الدراسة مايلي:

- نشأة الكاشغري في القرن الخامس الهجري (بداية القرن الحادي عشر الميلادي) مما يجعله من أوائل غير العرب الذين بذلوا جهودًا كبيرة في خدمة العربية.
- تفرده بأن استهدف بكتابه تعليم العرب لغة الترك ولهجاتهم.
- يمثل بكتابه السابق الذكر عالم الترك بوسط آسيا، وهو عالم كبير قدم للإسلام الكثير من القادة العظام والعلماء الكبار.
- يعد ديوانه أول معجم حفظ لغة الترك ولهجاتهم من الاندثار.
- يعد محمود الكاشغاري بما سطره رائدًا في مجال التواصل الحضاري والثقافي بين العرب والترك
- عدم التفات الباحثين العرب إليه، فلم أجد دراسة تتناول جهوده العلمية إلا دراسة بعنوان (محمود الكاشغري وجهوده العلمية في ديوان لغات الترك) وقد تشاركتها مع مجموعة من أساتذة قسم اللغة العربية والترجمة بالجامعة الكويتية الدولية بقرغيزيا، وقد أفدت منها كثيرًا، لكنها لم تهتم بجهوده في مجال تعليم غير الناطقين ، وهو هدفه من تأليف الكتاب، وكذلك لم تهتم

بمنهجه في نشر اللغة العربية بين قومه بطريقته التي لم يسبق إليها، كذلك وجدت بعض صفحات إلكترونية تتناول التعريف به وبمؤلفه.

كيف!! وديوانه فيه ثراء ووفرة وبخاصة في مجال خدمة العربية والموازنات بين لغات الترك والعربية كثيرًا وبينهما وبين الفارسية أحيانًا، وقد سبق بهذا ما يسمى الآن بـ"علم اللغة المقارن" كما أنه يكشف كثيرًا عن أحداث تاريخية إسلامية تحتاج إلى استخراجها وتوثيقها للناس.

وأقيمت الدراسة على مقدمة وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة وفهرس الموضوعات والمصادر والمراجع:

المقدمة: وفيها بينت سبب اختياري لهذا الموضوع وخطته.

التمهيد: وفيه عرفت باللغوي محمود الكاشغري وكتابه.

المبحث الأول: العربية وثقافة المؤلف الإسلامية وقيمه التربوية.

المبحث الثاني: المعجم اللغوي بين العربية ولهجات الترك.

المبحث الثالث: القضايا النحوية والصرفية بين العربية ولهجات الترك

المبحث الرابع: العربية جسر للتواصل الثقافي والحضاري بين العرب والترك.

الخاتمة: وقد سجلت فيها أهم نتائج الدراسة وتوصياتها. ثم الفهارس وقائمة **المصادر والمراجع**.

والله سبحانه أسأل التوفيق والسداد والقبول، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد

إن للأمة الإسلامية تاريخًا يمتد امتداد جغرافيتها العالمية، وما سطرته في صفحات التاريخ من علوم وثقافة ومعارف وحضارة لهو أعمق أثرًا وأكثر توهجًا في ذاكرة الإنسانية من كثير من الأمم الأخرى، وكان من مكونات هذه العلوم جهود العلماء غير العرب في إثراء العلوم العربية والإسلامية والارتقاء بها، وحاز علماء آسيا الوسطى النصيب الأوفر والمكانة الأعلى من بين هؤلاء العلماء وجهودهم، فمنذ العصر العباسى كان مداد العلم ينساب من عواصم ومدن آسيا كبخارى وسمرقند وخوارزم وكاشغر وغيرها.

ونبغ من أبنائها في مجالات علمية عديدة أئمة رفعوا لواء الإسلام وشيدوا له قواعد علم ما يضعهم في صدارة الأمم الإسلامية، كالإمام البخارى، والترمذى، والنسائى، والزمخشرى، وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكى، وسعد الدين التفتازانى، والفقيه السرخسى، والشيخ سديد الدين الكاشغرى، وأبي البركات النسفى، وإمام أهل السنة أبي منصور الماتريدى، والكاتب الأديب أبي بكر الخوارزمى، والفارابى، وابن سينا، وغيرهم ممن يطول البحث بذكرهم. وقد بذل مجهود كبير في الكشف عن جنبات هذه العلوم والثقافة ومجالاتها منذ عشرات السنين.

وفي مجال خدمة العربية وبذل الجهد في نشرها بين أبناء أمته يبزغ نجم الفيلسوف اللغوي (محمود الكاشغري) الذي ترك لنا هذا الأثر العلمي الكبير (ديوان لغات الترك) والذي نحاول الكشف عن بعض محاوره العلمية والثقافية، لإماطة اللثام عن أحد الأعمال العلمية الرائدة في مجال اللغة وفقه اللغة المقارن والثقافة والتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد، لأمة الترك ذات التاريخ المتوهج والحضارة الأصيلة، واختيار اللغة العربية وعاء لهذا السفر الفريد.

محمود الكاشغري: مولدا ونشأة:

اختلف في تاريخ مولد محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري[١] ووفاته، فمن قائل أنه ولد في(١٠٠٨م) وتوفي في(١١٠٥م)، ومن قائل بأنه ولد في (١٠١٩م) وتوفي في (١١٣٤م) ... وكما اختلف في تاريخ مولده ووفاته، تنوزع- كذلك-في محل ميلاده، فمن قائل أنه ولد بقرية "أوفال" الواقعة على نحو ٤٥كم في الشمال الغربي لمدينة كاشغر في تركستان الشرقية أو في مدينة برسقان القريبة من بحيرة إسيكول بقرغيزستان[٢]، والمتفق عليه أنه عاش في القرن الحادي عشر الميلادي الموافق للقرن الخامس الهجري، وأنه ابن منطقة آسيا الوسطى.

وهو من أسرة شريفة ذات مكانة اجتماعية وسياسية متميزة فقد كان والده من أحفاد خاقان الدولة القاراخانية يوسف قادرخان. وتربَّع والده فترة من الزمن على العرش فى إحدى الولايات التابعة للدولة القاراخانية.

وأما أمه فهي من جذور عربية اسمها "رابية بنت خواجه سيف الدين" وكانت ذات علم وثقافة، وكان لها الأثر الأكبر فى ابنها محمود الكاشغرى، وتنشئته تنشئة صالحة يفوق أقرانه، وقد أعطاها انشغال الأب بمهمات شئون عرشه فسحة لتربيته وتثقيفه بما كانت تراه مناسبًا لعصره ومستقبله.

---

(١) ينظر/ ديوان لغات الترك/ محمود الكاشغري/ دار الخلافة العليه -مطبعة عامره (١٣٣٣هـ)

(٢) مقال/ محمد مهدي بيات (محمود الكاشغري.رحلة العلم من الصين إلى بغداد ٢٠١١/٠٢/١١م) http://www.alnoor.se/article.asp?id=105869

ومقال/ د/ عبد الرحمن جمال الكاشغري(الفيلسوف اللغوي الأويغورى محمود الكاشغري صاحب (ديوان لغات الترك) .

http://www.wata.cc/forums/showthread.php?70744

ومقال/ د/ محمود إسماعيل (أعلام كاشغر وأشروسنة) رقم١٤ ص١٤ مجلة العلم والتربية بجامعة محمود كاشغري ٢٠١٣م

وقد تعلم محمود الكاشغرى الابتدائية والمعارف العليا فى كاشغر التي اشتهرت بأنها مدينة العلم والثقافة فى آسيا الوسطى وما يجاورها من البلدان فى عهد الدولة القاراخانية. فدرس الفنون الاجتماعية وعلوم الطبيعة على السواء فى المدن الكبرى مثل كاشغر وبلاساغون وبخارى وسمرقند وفاراب.

وفي هذا العصر نشأ الفلاسفة والعلماء والمفكرون أمثال الفارابى ويوسف خاص حاجب ومحمد بن الكاشغرى وعماد الدين الكاشغرى وحسين خلف الكاشغرى وغيرهم، وتعلم محمود الكاشغرى هناك اللغة العربية والفارسية وتاريخ الإسلام والفلسفة وعلوم أصول الدين.(١)

ويظهر في ديوانه اعتزازه بأصله التركي، فالأتراك في ديوانه أمة عظيمة في عزة ومنعة، لهم غلبة وسلطان وملك عريض، وأنهم بحاجة إلى هذا الديوان الذي يحفظ لهم لغتهم، ويحمل إلى العرب ثقافتهم وتاريخهم، فيقول: "لما رأيت أن الله تعالى قد أطل شمس الدولة في بروج الأتراك وأدار بملكهم دائرة الافلاك، فسماهم التُّرك، وولاهم الملك، وجعلهم ملوك العصر، ووضع في يدهم أزمة أهل الدهر، فقيضهم على الخلق، وأيدهم على الحق، وأعز من انتمى إليهم، وسعى بين يديهم، ونال منهم بلغة في المراد، وسَلِمَ من معرة أوباش العباد، حُقّ لكل ذي لبّ التمسك بحالهم، توقيًا عن وقع نبالهم، ولا ذريعة لديهم أحسن من التراطن بلسانهم، لإصغائهم إليه أسماعهم، واستمالة جناهم"(٢)

---

(١) ينظر/ مقال/ د/ عبد الرحمن جمال الكاشغري (الفيلسوف اللغوي الأويغورى محمود الكاشغري صاحب (ديوان لغات الترك)

http://www.wata.cc/forums/showthread.php?70744

(٢) مقدمة ديوان لغات الترك: محمود قشغاري ٢/١، ويقارن بما ذكره في موضع آخر من حديث موضوع أنكره العلماء ٢٩٤/١.

وتراه يورد أثرًا شك في صحته عن النبي ﷺ: "ولقد سمعت عن ثقةٍ من أئمة بخارى وإمامٍ آخر من أهل نيسابور، كلاهما رويا بإسنادٍ لهما عن رسول الله ﷺ أنه لما ذكر أشراط الساعة وفتن آخر الزمان، وخروج التُّرك الغزّية فقال: تعلموا لسان التُّرك فإن لهم ملكًا طوالًا"[١] وهذا منه حرص على بيان فضل قومه ومكانتهم التي لا تقل عن مكانة العرب وريادتهم في القرن الخامس الهجري في العصر العباسي، وأن تعلم لغتهم ضرورة شرعية، وإذا لم يصح الأثر فتعلم لغة الترك ضرورة ثقافية وحضارية ومستقبلية قائلًا: "فالعقل يقتضيه[٢]" وهذا مثال لكل مسلم شريف يعتز بدينه وبلغته.

ولم تتوقف ظاهرة الاعتزاز عند قومه ولغتهم، وإنما بدا اعتزازه بذاته العلمية ومكانته اللغوية، وإحاطته بلغات قومه، ولعمري إن لم يُعتز بمثلها فبأي شيئ تكون العزة والكرامة، وهذا مثال آخر يساق لاعتزاز الوطني الشريف بما يقدمه لدينه وأمته من علم وسبق، فيقول: "فإنّي نقبت بلادهم وفيافيهم واقتبست لغاتهم وقوافيهم، تركية وتركمانية أوغزية وجكلية ويغمائية وقرقيزية، مع كوني من أفصحهم لسانًا، وأوضحهم بيانًا، وأحذقهم جنانًا، وأعرقهم مَحتِدًا، وأثقبهم سنانًا حتى استقام عندي لغة كل طائفة منهم أحسن قوام، وألَّفته أبلغ تأليف، في أزين نظام "[٣] وبمثل هذا الجهد والبذل الجزيل يتملك العالم لغته وتخضع له مفرداتها وتستقيم معه تراكيبها وتلين له معانيها النوادر منها والدقيقة، وبمثل هذا يكون الشرف والاعتزاز.

التعريف بالكتاب:

(١) مقدمة الديوان ٤/١، ويقارن بما ذكره في موضع آخر من حديث موضوع أنكره العلماء ٢٩٤/١.

(٢) السابق: ٤/١

(٣) مقدمة الديوان: ٣/١

وكان نتاج هذه التربية الراقية وتلك الدراسة الوافية والثقافة الثرية كتاب (ديوان لغات الترك) ، فهو أهم آثاره العلمية الخالدة، وقد جمع فيه لغات(لهجات) شعوب الترك وقبائلها،وفسرها بالعربية وأهداه إلى خليفة المسلمين العباسي أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله[١]،وتتجاوز عدد صفحاته الألف بقليل.

ويعد ديوان لغات الترك الدليل المبين عن دور العالم اللغوي الكبير محمود الكاشغري في خدمة العربية وربط أبناء أمته بها، بأن جعلها الطريق الأوحد لمعرفة لهجات الترك ومعجمها، حيث لم يسبقه أحد في هذا المجال، وشاء الله أن يظل أصحاب هذه اللغة ولهجاتها معتمدين عليه في دراساتهم اللغوية خاصة، وشاكرين له فضله، ومشيدين بسبقه، يقول الباحث عليار صفارلي أنه من" الأوابد الثقافية المشرّفة في تأريخ الأتراك، وأنه أول مصدر عريق من مصادر اللغة التركية و آدابها كُتب من أجل تعريف وتعليم العرب اللغة التركية بالإضافة إلى حاجات الدولة وإداراتِها في محيط قبائل (قره خان) الى تعليم اللغة التركية بتنويعاتها ومصادرها و اشتقاقاتها اللغويّة"[٢]

وقد حدد في مقدمة كتابه الهدف من تأليف هذا الديوان اللغوي المتميز بشموليته للغات(لهجات) الترك، ثم المقارنة بينها وبين اللغة العربية كثيرًا والفارسية أحيانًا، وكان مما حده من أهداف واضحة[٣]:

(١) ينظر/ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج١/ص٨٠٨/ حاجي خليفة / ت محمد شرف الدين/ دار إحياء التراث العربي/بيروت –لبنان

(٢) مقالة: محمود الكاشغري وأثره الخالد (ديوان لغات الترك) فاضل ناصر كركوكلي–موقع نحن التركمان.

(٣) مقدمة لغات الترك/ محمود كشغاري/٣/دار الخلافة العلية–مطبعة عامره

- تعليم لغة الترك للعرب غير الناطقين بها، وهو بهذا العمل يجاري علماء العربية الأوائل الذين ألفوا في مختلف علوم العربية (علم النحو خاصة) لتعليم غير الناطقين بها من الأمم التي هداها الله للإسلام.
- إظهار سعة لغات الترك وثراء معانيها، وأنها لا تقل عن اللغة العربية شأنا، فهو يراهما كفرسي رهان، وهذا منه مقبول في مجال تحبيب لغات الترك إلى العرب وتشويقهم إلى التعرف عليها، والإقبال على تعلمها.

ويمكننا القول: بأن الفيلسوف اللغوي محمود كشغاري أحسن في ذلك وأجاد، ومن دلائل ذلك ما سطره في ديوانه من ذكر ظاهر للغة العربية والثقافة الإسلامية على النحو الآتي:

اسم الكتاب:

ومما يلفت النظر في اختياره اسم مؤلفه، تسميته اسمًا عربيًا خالصًا (ديوان لغات الترك) وعلل ذلك بقوله: "ليكون ذكرًا مخلدًا وذخرًا مؤبدًا" [1] ، وهذا منه دال على عمق تأثره بمناهج تأليف اللغة العربية، والإقرار بمكانتها العالمية، وأن ما يكتب بمناهجها يخلد أبد الدهر، وقد صدق الرجل فلغته الأم (التركية القديمة) قد أصبحت طلاسم في أرشيف دول آسيا الوسطى، مما يبرهن على إدراكه منذ مئات السنين موت اللغات وخلود العربية، وهو يقصد ب (لغات الترك) لهجاتهم، فهي مختلفة فيما بينها صوتيًا ودلاليًا تبعًا للقبائل التركية التي نقل عنها، وهو ما أكده اللغويون المعاصرون بأن اللهجات "تختلف فيما بينها في كثير من الظواهر الصوتية والدلالية، كما تختلف في مفرداتها وقواعدها، تبعا للقبائل المختلفة، التي

(١) السابق نفسه

تتحد ظروفها الطبيعية والاجتماعية، أو تتباين هذه الظروف"[١] ، ويجمع هذه اللهجات اللغة الأم التي مازالت إلى يومنا تتيح لشعوب آسيا الوسطى قدرًا من التفاهم والتواصل. ولعل وراء إطلاقه اللغات على اللهجات رؤيته بأن كل لهجة منها صالحة بأن تكون لغة قائمة بذاتها، وهذا منه ظل لاعتزازه بهذه اللهجات ومقارعتها مجتمعة اللغة العربية، وهو الذي ذكر في مقدمته أنها والعربية كفرسي رهان.

كما أن التسمية العربية أليق بالهدف من الكتاب، وهو تعليم لغات الترك للعرب غير الناطقين بها، إذ الاسم علامة على صاحبه وعنوان له، فإذا كان مختارًا بعناية ودقيقًا في دلالته لفت الأنظار، وجذب ذوي الأفكار، وقد أبدع محمود كشغاري في تسمية كتابه، باختياره اسمًا عربيًا ليكون محببًا إلى العرب الذين قصدهم بتعلم لغات الترك، ومحركًا لبواعث حب التعلم والتعرف على لغات الآخرين وثقافتهم.

ولم يكن اسم الكتاب بالعربية فحسب، وإنما سلك منهجية عربية في أسماء كتبه (أبوابه) الثمانية، قائلًا في مقدمته: "واستعرت ألقاب هذه الكتب والأبواب من العربية اصطلاحًا لمعرفة الناس بها" ولم يكن اختياره هذه العناوين إلا لتسهيل تعلم اللغات التركية وتقريبها إلى طلابها، مفصحًا عن ذلك بقوله: "لمعرفة الناس بها".

ومما يؤكد تأثره الشديد بالعربية ومناهجها قوله في مقدمته: "ولقد تخالج في صدري أن أبني الكتاب كما بنى الخليل كتاب العين وأذكر المستعمل والمهمل..."[٢] وبهذا ندرك سعة ثقافته واطلاعه على معاجم العرب ومناهجها، ومع ذلك تظهر شخصيته التي تبين عن تفرده في منهجه الذي أبانه بقوله: "إلا أن هذا البناء أصوب. لما أن مأخذه أقرب. والناس فيه أرغب فأثبت المستعمل وأهملت المهمل

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب ص ١٦٧.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب ص ١٦٧ .

طلبا للاختصار" ويعلن تميز منهجه قائلًا: "وبرزت بتصنيف لم أسبق إليه، وتأليف لم يوقف عليه" وهذا منه دال على مجهود كبير بذل، ووقت طويل ضحي به، ليصل ديوانه إلى غايته، وينال بين مؤلفات العربية مكانته.

كما لا تخطئ عين باحث معرفة الكاشغري الراسخة بعلوم اللغة العربية وقواعدها النحوية والصرفية، وعمق فهمه لآدابها وأساليبها البلاغية وجمال تراكيبها، من ذلك ما نراه في مقدمته من استخدام أسلوب السجع المطبوع الذي كانت تدور عليه رحى الكتاب والأدباء والمؤلفين في عصره العباسي، قاصدًا جذب القارئ ولفت انتباهه ونيل استحسانه والفوز بإقباله عليه.

يضاف إلى ذلك قيامه بشرح كتابه باللغة العربية، ليجعلها لغة وسيطة تحقق غرضه من الكتاب، وهي وسيلة يعمل بها في الكثير من مناهج تعليم اللغات لغير الناطقين بها، وإن كان يرى البعض –وأنا منهم–أن اللغة الوسيطة تضعف تعليم اللغات لغير الناطقين بها[1]، وتقضي على تكوين بيئة لغوية ليعايش الطالب اللغة التي يتعلمها، فيكتسبها بصورة صحيحة من حيث الفهم والنطق بها في أسرع مدة زمنية، إلا أني أرى أن محمود الكاشغري أجاد بسلوكه هذه الطريقة لأمور عدة:

* كونه سباقًا في هذا المجال.
* عدم توفر المعلمين الذين يقومون على تعليم اللغات التركية للعرب في هذا الزمن الغابر.

(١) تنظر تلك القضية في: تعليم اللغة العربية اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات/ رشدي أحمد طعيمة ومحمود الناقة/ ٤٨/ مشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو، وتعليم العربية لغير الناطقين بها/ مناهجه وأسسه/ لهما/ ١٣٢، وإضاءات معلمي العربية لغير الناطقين بها/ عبد الرحمن الفوزان/ ٥/ وأثر استخدام اللغة الوسيطة في تدريس المفردات العربية للناطقين بغيرها/ يوسف صبيح الفقهاء/ ١٦ ومابعدها/ رسالة ماجستير/ الأردن ٢٠٠٩م، ومباديء تعليم وتعلم اللغة/ دوجلاس براون/ ترجمة/ العميد الشمري/ مكتبة التربية العربية .

* أن اللغات التركية كانت تكتب بالخط العربي، ومن ثم لايجد الطالب أو القارئ صعوبة في قراءة الكتاب، لكونه بالخط الذي يعرفه ويتقن قراءته.

وباحتواء الديوان على جوانب علمية وثقافية عديدة، فمنها المعجمي، والنحوي والصرفي والبلاغي والأدبي كالشعر والحكم والأمثال والحضاري كالتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد – وجعل اللغة العربية هي السبيل إلى بيان ذلك، ثم ما نجده من مقارنات عديدة بين التركية والعربية يكون محمود الكاشغري قد أدى دورًا رائدًا في ربط أبناء أمته بلغة الإسلام ومنهل ثقافته، وتقريره بأنها الخالدة الشامخة والقادرة على استيعاب العلوم والقافات والحضارات المحتلفة.

ومع اعتزازه بسبقه وتفرده وتمكنه وخلود مصنفه، وجودة اختيار مفرداته وصفائها، وانقياد تراكيبه وسلاستها وخضوعها لمراده، ودقة معانيه وإصابتها وجديتها، والذي عبر عنه بأن جعله "مرتبًا على ولاء حروف المعجم موشحًا بحكمة أو سجع أو في مثل أو شعر أو رجز أو نثر حتى لينت وعرها، وبينت غورها وقعرها، وقاسيت سنوات من برحائها، حتى أنخت كل كلمة محلها، وأنهضتها من عدوائها، يصادفها في مباركها طالبها، ويرصدها مسلكها"[1] إلا أنه لم يسلم من غفوات العلماء الكبار[2]، وهي من المدخول في قولهم: "ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها، أو غلط، غير أن القليل منه، إلى جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه، وأتعبوا أنفسهم في: تصحيحه، وتنقيحه، معفو عنه"[3]

(١) الديوان: ١/٤

(٢) ينظر ص ٨٠٧ ، ٨٠٨ من هذا البحث

(٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة ٢/ ١٠٧٣–دار إحياء التراث العربي–١٩٤١م

المبحث الأول

العربية وثقافة المؤلف الإسلامية وقيمه التربوية

الباحث في ديوان لغات الترك يجده معينًا صافيًا وبرهانًا كاشفًا عن ثقافة العالم الكبير محمود الكشغاري العربية والإسلامية، إذ لا يمكن أن تتغافل أي دراسة لهذا العمل اللغوي الكبير عن مثل هذا الجانب، لما له من دور ظاهر في الكشف عن التكوين الثقافي والإيماني لرجل عاش في القرن الخامس الهجري، ذاك العصر الذي صارت الثقافة العربية الإسلامية هي الرائدة عالميًا، وهي القائدة لثقافات وحضارات العالم عقودا طوالًا، وتظهر هذه الثقافة دوره في جذب عالم الترك إلى ميدان العربية وثقافتها الإسلامية وتحفيزه على الإقبال عليها لنيل شرف تعلمها ونهل ثقافتها، وهي طريقة إبداعية جديدة وفريدة في ذاك العصر البعيد.

ذكر العربية والعرب:

وبجانب ما سبق في الحديث عن الكتاب ومنهاجه ترى اللغة العربية جارية في الديوان جريان النسيم، ولها بين أسطره ظل ظليل، ففيما يزيد عن المائة مرة ما بين كقول العرب، وفي لغة العرب، وكما في العربية، والعرب تقول، وكثرت الأسماء العربية والإسلامية كاسم خليفة المسلمين أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بالله، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وذكر في أفضلية الترك: حدثنا به الشيخ أبوبكر المفيد الجرجرائي المعروف بابن أبي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان ، وقال: وهو رجل من اليمن دون ذكر اسمه، وكذلك الوصف﴿ الأخفش ﴾وعصام[1]

القرآن الكريم:

(١) ديوان لغات الترك/١/ ١١٠، ١٧٢، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٦٠، ٢٩٤،٣٤٢، ٢/ ٢٦، ٥٢، ٥٢، ١١٠، ٣/ ١٠٥

لا يتصور أن مؤلفًا كبيرًا لعالم لغوي مسلم مثل محمود الكشغاري يخلو من أثر للذكر الكريم، فهو الملهم بالأساليب والمعاني والحكم والقيم التي تجعل للعمل العلمي قيمة ومنزلة بين الأعمال الكبرى.

وقد قمت بحصر آيات الذكر الحكيم في معجم " ديوان لغات الترك" فوجدتها جاءت كالتالي:

قال تعالى[1]:

١) ﴿وكلم الله موسى تكليمًا﴾ النساء/١٦٤ .

٢) ﴿قد جعل ربك تحتك سريًّا﴾ مريم/٢٤ .

٣) ﴿إن مع العسر يسرًا﴾ الشرح/٦ .

٤) ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ القيامة/٣٣ .

٥) ﴿قد خاب من دساها﴾ الشمس/١٠ .

٦) ﴿ومارب العالمين﴾ الشعراء/٢٣ .

٧) ﴿لنسفعا بالناصية﴾ العلق/١٥ .

٨) ﴿فظلتم تفكهون﴾ الواقعة/٦٥ .

٩) ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ الصف/ ٤ .

١٠) ﴿وآتت كل واحدة منهن سكينًا﴾ يوسف/ ٣١ .

١١) ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ فاطر/٢ .

١٢) ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ الصف/٧ .

١٣) ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ الواقعة/ ٦٩ .

(١) ديوان لغات الترك ٢٦/١، ٦٠، ١٠٠، ١٠١، ١١٨، ١٩٤، ٢٣٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٣

١٤) ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ الإنسان/١ .

١٥) ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ التين/٤ .

وقال تعالى[١]:

١٦) ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا﴾ تبارك/٣٠ .

١٧) ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ البقرة/ ٥٤ .

١٨) ﴿إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ العلق/٦،٧ .

١٩) ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ الطلاق/٧ .

٢٠) ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ الفجر/١٦ .

٢١) ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ العنكبوت/١٨ .

٢٢) ﴿فبهداهم اقتده﴾ البقرة/٥٤ .

٢٣) ﴿لم يتسنه﴾ البقرة/٢٥٩ .

٢٤) ﴿إنا أنزلناه﴾ القدر/١ .

(١) ديوان لغات الترك ٢/٤٤، ١٢٦، ١٣٧، ٣/٣٦، ٨٣، ١٧٢، ٢٢١

الاقتباس من القرآن الكريم:

لم يتأثر محمود كشغاري بالقرآن الكريم فيما ذكره من الآيات السابقة فحسب، وإنما اقتبس منه الكثير من معانيه، ومن ذلك ما جاء في العديد من شرحه للكلمات والعبارات التي بينها بالعربية في ديوانه أو اعتنى بدراستها لغويًا، من ذلك [1]:

١) والدال أدغمت في الدال كما يقال: " مدكر.. " اقتباسًا من قوله: ﴿فهل من مدكر﴾ القمر/٢٢ .

٢) كلمة تلهف كما يقال: " يا أسفا " اقتباسًا من قوله: ﴿يا أسفا على يوسف﴾ يوسف م٨٤ .

٣) كيلا تستحي النسوة عند استعمالها ، ويقول عنها في المجلد الثاني: " وهو كناية عن الجماع " وهذا قريب من قوله: ﴿أو لامستم النساء﴾ النساء/٤٣ .

٤) جاز بالإحسان إحسانًا من قوله: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن/٦٠ .؟

٥) شد بوثاق اقتباس من الجملة القرآنية: ﴿فشدوا الوثاق﴾ محمد/ ٤ .

٦) طوي الكتاب قريب من قوله: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ الأنبياء/ ١٠٤ .

٧) كسفت الشمس .. وخسف القمر من قوله: ﴿وخسف القمر۞ وجمع الشمس والقمر﴾ القيامة/ ٨،٩ .

---

١ ينظر ديوان لغات الترك/ ١٢٦/١، ١٢٧، ١٥٠، ٢٥٨، ٣٧٣، ٤١٥ ٢١/٢، ٢٢ ،٢٣، ١٠١، ١١٣، ١١٦، ١٢١، ١٦٤، ٢١٥، ٢٤٤، ١٤/٣، ٣٩، ٧٤، ١٠٠، ١٠١، ١٦٦، ٢١١،

٨) أن الرجل اهتم في أمر ودلك يده من الحياء والندم، وهذا ما أشار إليه قوله: ﴿ويقلب كفيه على ما أنفق فيها﴾ الكهف / ٤٢.

٩) جثا الرجل على ركبتيه اقتباس من قوله: ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ الجاثية/ ٢٨ .

١٠) ماج القوم بعضهم في بعض من قوله: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ الكهف/ ٩٩.

١١) لما ذاق وبال أمره من قوله: ﴿ليذوق وبال أمره﴾ المائدة/٩٥

١٢) يتكور الليل على النهار من قوله: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ الزمر/ ٥ .

١٣) تعبير الرؤيا من قوله: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يوسف/٤٣ .

١٤) الله تعالى خلاق للأرض وغيرها من قوله: ﴿وهو الخلاق العليم﴾ يس/٨١.

١٥) بلغ الرجل أرذل العمر من قوله: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ النحل/٧٠ .

١٦) اطمأن القلب من قوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ الرعد/٢٨ .

١٧) السليم القلب من قوله: ﴿إلا من اتى الله بقلب سليم﴾ الشعراء/ ٨٩.

١٨) ومنه يقال للرجل إذا كان شَكِس الخلق من قوله: ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلًا سلمًا لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ الزمر/٢٩ .

١٩) حف الناس حوله من قوله: ﴿وحففناهما بنخل﴾ الكهف/ ٣٢ .

٢٠) وضع على سور المدينة بروجًا تأثرًا بقوله: ﴿والسماء ذات البروج﴾ البروج/ ١ .

٢١) الظل الظليل من قوله: ﴿ظلا ظليلا﴾ النساء/٥٧ .

٢٢) عريش الكرم من مضمون قوله: ﴿جنات معروشات وغير معروشات﴾ الأنعام/ ١٤١ .

الحديث النبوي:

وإذا كان الأثر القرآني له حضوره وتأثيره في ديوان لغات الترك، فإن للحديث ذكرًا أقل، ولعل سرًّا يكمن في أن القرآن يقرأه كل المسلمين عالمهم وطالب العلم وغيرهما، أما الحديث فله المتخصصون فيه، ويبدو أن محمود كشغاري لم يكن من أهل هذا الميدان، وتتضح صحة هذا الرأي مما ذكره في شأن الترك مما لم أجد إلى صحته سبيلًا:

١- "ولقد سمعت عن ثقة من أئمة بخارا وإمام آخر من أهل نيسابور كلاهما رويا بإسناد لهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما ذكر أشراط الساعة وفتن آخر الزمان وخروج الترك الغزية فقال: ﴿تعلموا لسان الترك فإن لهم ملكا طوالا﴾ فالرواية برفع الطاء. فلئن صح هذا الحديث والعهدة عليهما فيكون تعلمه واجبًا ولئن لم يصح فالعقل يقتضيه ﴾[1] واستخدامه أداة الشرط " إن" دال على شكه في صحته، وقد حاولت جهدي الوصول إليه في أي مصدر للحديث فلم أوفق، مما يعني أنه غالبًا ليس حديثًا، وقد جاء ذكر الترك في أكثر من حديث، لمن أراد ذلك فليرجع إلى كتب الحديث المعروفة.

٢- وذكر في أفضلية الترك، حدثنا به الشيخ أبوبكر المفيد الجرجرائي المعروف بابن أبي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان بإسناده عن رسول الله

١ مقدمة ديوان لغات الترك

صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله جل وعز : إن لي جندًا سميتهم الترك وأسكنتهم المشرق. فإذا غضبت على قوم سلطتهم عليهم"[1]ولم أعثر له على صحة.

٣- -كما ذكر حديث النبي ﷺ:" ما زالت أكلة خيبر تعاودني في كل عام حتى كان هذا عام قطع ابهري" . [2]

٤-كما جاء بقوله ﷺ:﴿ إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى ﴾[3]

٥-وجاء في معرض شرحه لمثل من أمثال الترك بحديث النبي-ﷺ: " لا يلسع المؤمن من جحر مرتين " . [4]

---

(١) ديوان لغات الترك/ ٢٩٤/١ .

(٢) ديوان لغات الترك ٦٨/١ وفي صحيح البخاري: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم) . صحيح البخاري-الصفحة أو الرقم: ٤٤٢٨.

(٣) ديوان لغات الترك٩٥/١ وقد روي مرفوعًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: فذكره في تمام حديث أوله: إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا سفرًا قطع ولا ظهرًا أبقى فأعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدًا واحذر حذر (امرئ) يخشى أن يموت غدًا . (وهذا سند ضعيف)، وبه علتان. لكن يغني عنه قوله صلى الله عليه وسلم: إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ... ؛ أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا . وقد روي الحديث بنحوه من طريق أخرى انظر الحديث رقم ٨٧٤ . أصلحوا دنياكم ... ؛ الشيخ الألباني في السلسة الضعيفة المختصرة.

(٤) ديوان لغات الترك/ ٢٦٧/٢ ولفظه في البخاري: (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) صحيح البخاري/ كتاب الأدب/ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

الاقتباس من الحديث النبوي:

وكما كان ذكر الحديث النبوي قليلًا، فإن اقتباسه لا يتجاوز الثلاثة مواضع:

- **فتلقه بوجه طلق[١]، فهو متأثر فيه بحديث أبي ذر-رضي الله عنه-قال: قال لي النبي-ﷺ: " لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " [٢]**
- **نمصت المرأة شعر وجهها[٣]، ولعله متأثر بقول عبد الله بن مسعود قال:" لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " . [٤]**

---

(١) ديوان لغات الترك ٣/٣٢ .

(٢) صحيح مسلم/كتاب البر والصلة والآداب/ باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء .

(٣) ديوان لغات الترك ٢/٢٨٥، ٣/٧٣ .

(٤) أخرجه معظم الحفاظ في كتب السنة وعلى رأسهم البخاري ومسلم عن عدد من الصحابة منهم: ابن مسعود وابن عمر وعائشة وأبو جحيفة بألفاظ وطرق متعددة.

ولفظه كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهو في كتاب الله، فقالت المرأة: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه، قال الله عز وجل: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر:٧].

=فقالت المرأة: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن، قال: اذهبي فانظري، فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئًا، فجاءت إليه فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: أما لو كان ذلك لم نجامعها.

- لا يخلو ابن آدم من عيب أو داء[١] من مضمون قوله-ﷺ:" كل ابن آدم خطاء" . [٢]

الشعر العربي:

الشعر ديوان العرب كما يقولون، وقد تتبعت الشعر في الديوان وحصره فوجدته كالآتي:

١) أن السفر يأتي بأخبار البلد البعيد. وهذا كما قيل: " ويأتيك بالأخبار من لم تزود " [٣]

وهذا من قول طرفة بن العبد[٤]:

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدًا غدًا ما أقرب اليوم من غد

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتًا ولم تضرب له وقت موعد

٢) تُبدل الكاف التي للتأنيث بالشين، كقول المجنون: (فعيناش عيناها وجيدش جيدها) أراد به عيناك وجيدك.[٥] وجاء البيت كاملا في الديوان:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها| سوى أن عظم الساق منك دقيق[٦]

(١) ديوان لغات الترك ١٠٣/٣

(٢) ضعيف رواه الترمذي (٢٤٩٩) وابن ماجه (٤٢٥١) . والدارمي (٢٧٣٠) .وأحمد في (المسند) (١٩٨/٣) وفي (الزهد) (ص٩٦) .

(٣) ديوان لغات الترك/٨٩/١

(٤) ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري ت/ درية الخطيب ولطفي الصقال/ص٥٨/ المؤسسة العربية بيروت لبنان

(٥) ديوان لغات الترك، ج٢، ص ٦٠

(٦) ديوان قيس بن الملوح/ ٤٥ تعليق يسري عبد الغني/ دار الكتب العلمية.

٣) هو جلمود صخر حطه السيل من عل[١] وهو شطر بيت لامرئ القيس يصف حصانه[٢]:

مكفــر مفــر مقبــل مــدبر معًــا كجلمـود صـخر حطـه السـيل مـن عـل

٤) قد يخرج القوس المجلوزة من المقوس الخلق كما قيل:

تــرى الرجــل النحيــف فتزدريــه وفـــي أثوابـــه أســـد مريـــد[٣]

٥) اليَمْلَق: أخذته الفرس من الترك، فقالوا﴿ يلمه ﴾ثم أخذت العرب من الفرس فقالوا: "يملق" فقلبوا الهاء قافا، كما قالوا: خندق وأصله "كنده"، "يارق" أصله "ياره" حتى ذكره ذو الرمة، فقال: كأنه متقبَّى يَلْمَقٍ عزب[٤] وهو شطر بيت يصف يصف فيه انقباض الثور من شدة البرد:

تجلـو البـوارقُ عـن مجرمِّـزٍ لهـقٍ كأنَّـــه متقبّـــي يلمـــقٍ عـــزبُ[٥]

٦) والألف مبدلة من النون كما في قول الله عز وجل:﴿ لنسفعا ﴾.

وقول الأعشى: والله ربك فاعبدا [٦] وهو جزء من قوله في مدح النبي الأكرم:

ولا النُّصُـبَ المنصـوب لا تَنْسُـكنَّه لعاقبـــةٍ واللهَ ربَّـــكَ فاعْبـــدا[٧]

---

(١) ديوان لغات الترك ٣ /١٠

(٢) معلقة امرئ القيس / ديوان امرئ القيس ش: الوزير أبي بكر عاصم بن أيوب/ ٣٤/ المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية ١٣٠٧م

(٣) ديوان لغات الترك/١٣/٣ وهو للعباس ابن مرداس/ ينظر الصحاح/ حرف الميم/ جامعة أم القرى

(٤) ديوان لغات الترك/ ٢٦/٣ وينظر لسان العرب مادة قبا

(٥) ديوان ذي الرمة/١٦/ش: أحمد حسن بسج/ دار الكتب العلمية/ ط الأولى سنة ١٩٩٥م

(٦) السابق/ ١٥٦/٣

(٧) ديوان الأعشى١٣٧ / تحقيق وتعليق/ محمد حسين/ رمل الإسكندرية ١٩٥٠م

٧) ما – حكاية عن صوت البهم والحملان. وهذا وافق العربية. كما يقال في قول ذي الرمة: باسم الماء مبغوم[١] وهو جزء من قوله:

لا ينعش الطرف إلا ما تخونه داع يناديه باسم الماء مبغوم[٢]

وقد أفاد من شعر العربية في بيان معاني الكلمات أو الأمثال أو المقارنة بين لغات الترك والعربية والفارسية فيما يعرف حديثًا بالفقه المقارن بين اللغات، وهذا منه دال على تأثره بالشعر العربي وأخذ ما يعينه منه على أداء رسالته، وتوظيفه فيما يود بيانه للقارئ العربي المقصود من تأليف كتابه.

الحكم والأمثال العربية:

ولأن ديوان لغات الترك يحفل بحكم الترك وأمثالها فإنه لم يخل من مقابلتها بما يتسق معها من حكم العرب وأمثالهم، وكان ذكره لها أكثر من ذكره للشعر، ولعل سهولة حفظها وكونها مشتركًا ثقافيًا عالميًا سبب تسطيره للكثير منها، ومع كونها أكثر ذكرًا من الشعر إلا أنها قليلة إذا ما قورنت بوفرة حكم الترك وأمثالهم مما يمكن مقابلته بالكثير من حكم العرب وأمثالهم، والمطالع لها يجد منها قرآنا أو حديثًا أو شعرًا وقد ذكروا آنفًا، وبعد حصرها في ديوانه وجدتها كالآتي: [٣]

١) كفرسي رهان مقدمة الكتاب .

٢) المرء مخبوٌّ تحت لسانه .

٣) كالباحث عن المدية .

٤) يربض حجرة ويرتعي وسطًا .

---

(١) ديوان لغات الترك/٣/١٦٠.

(٢) ديوان ذي الرمة/ ٢٥٥.

(٣) مقدمة الديوان ص٥، ١/٢٨١، ٣٤٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٨٢، ٣٩٣، ٤٠٩، ٢/٦٢، ٢٢٩، ٢٢٩، ٣/٨٨، ١٠٥.

٥) إذا أقبل أقبل وإذا أدبر دمر .

٦) شوى أخوك حتى إذا أنضج رمَّد .

٧) إنا لنحن أعظم اكبادًا من الإبل .

٨) إذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى .

٩) أتبع الفرس لجامها.

١٠) يسر حسوا في ارتغاء.

١١) إن البعاث بأرضنا يستأسد.

١٢) إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه.

وقد استطاع من خلالها شرح أمثال الترك وتقريبها إلى قارئ الكتاب، وتأكيد معانيها في نفسه بذكر ما يعرفه من أمثال قومه.

إننا هنا نجمل ما قصدنا بيانه من تأثير الثقافة العربية والإسلامية في المكون الثقافي للفيلسوف اللغوي محمود الكشغري، مما بدا واضحًا في سفره الموسوم بديوان لغات الترك من حضور ظاهر في:

١- تسمية المعجم باسم عربي.

٢- تسمية أبواب معجمه بأسماء عربية.

٣- منهجية المعجم سائرة على طريقة المعاجم العربية.

٤- وللعربية حضور حافل تجاوز المائة مرة.

٥- وللأسماء العربية ظهور بدءًا من خليفة المسلمين إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن أبي الدنيا وعاصم وأسماء بعض الشعراء ورجل من اليمن وصفة الأخفش...إلى غير ذلك مما لم أحصه عددًا.

٦- جاء ذكر لآيات القرآن الكريم في (٢٥) خمسة وعشرين موضعًا.

٧- الاقتباس من المعاني القرآنية في (٢٢) اثنين وعشرين موضعًا.

٨- وتضمن من الحديث النبوي الشريف (٥) خمسة أحاديث.

٩- واقتبس من معانيه الشريفة في (٣) ثلاثة مواضع.

١٠- ومن الشعر احتوى على (٧) ستة مواضع.

١١- وللأمثال (١٢) اثنا عشر ذكرًا.

ولا يغيب أن هذا الذكر للثقافة العربية والإسلامية جعل بين القارئ العربي المقصود من تأليف كتابه وبين الكتاب تواصلًا فعالًا قادرًا على جذبه وتشويقه وإثارة غريزة حب التعلم التي رفعت رايتها في أمة العرب والإسلام منذ بداية الوحي ﴿ اقرأ ﴾ذات الدلالة القاطعة على أن العلم هو الطريق المعد للتطور والريادة.

ومن جانب آخر يكشف عن سعة ثقافته، وتعدد مناهله وروافد فكره، فقد أحاط بلغة قومه الترك وثقافتهم وحضارتهم، والذي كثيرًا ما يبين عن اعتزازه بالانتماء إليهم، ثم بلغة العرب وثقافة المسلمين وفكرهم المنسول من القرآن والسنة وتطور حضارتهم، ثم بلغة الفرس وعاداتهم وما بقي من آثارهم.

وتحبيره هذه الثقافة بلغة الضاد يحفز بني قومه لتعلمها والنهل من منابعها الصافية الرقراقة، ومن يطالع آثار القوم يجد صدًى واسعًا لدعوته وإمامته.

القيم التربوية:

يمضي الكاشغري في سبيل جذب المتعلم العربي إلى لغة الترك واكتساب ثقافتها -ببيان ثراء المجتمعات التركية بالقيم الإيمانية والأخلاق الحسنة، وكان للشعر التركي دور فاعل في هذا الميدان، كما تدفقت الأمثال في ديوانه لتكشف الحقائق فتعرض المعاني الرائعة في عبارات موجزة، لذا نهل كثيرًا من معينها الصافي الرقراق، ليظهر الوجه المشرق لسجل عالم الترك وتراثه الأخلاقي والقيمي

الذي بناه الإسلام في تلك النفوس الكبيرة والمجتمعات العريقة، فحولته واقعًا شامخًا بدا جليًا فيما نثره من التراث التركي في معجمه الخالد ديوان لغات الترك.

ففي قيم الإيمان بالله [١] جاء قوله: "قم لله تعالى متعبدًا ليلًا ونهارًا ولا تَعْتُ. وكن منهُ وجلًا خائفًا، فَلا تَلعب حَياء وخوفًا منه، والكفرة أبادهم الله تعالى يسمون السماءَ "تنكري "وكذلك كُلُ شيء إذا عَظُمَ في أعينهم يسمونه "تنكري" نحو الطود العظيم والدوح العظيم؛ ولذلك يسجدون لمثل هذه الأشياء، ويسمون العالم "تنكركان"[٢] ، وقوله : يحمل دعوة إلى التحلية بالإيمان والتخلية عما سقط في الكفار من عبادة المخلوقات وتعظيمها من دون الله جل جلاله. وتأكيدًا لهذه الدعوة ودحض عبادة المخلوقات يأتي قوله: "خلق الله تعالى آدم وغيره من الخلق، وخلق الله تعالى العالم والفلك العالي دائمًا يدور، ونجومه مصفوفة، يكور الليل على النهار". [٣].

ثم تأتي قيمة العلم غزيرة وافرة التواجد في ديوانه، فيعظ ابنه قائلًا: "إذا صادفت رجلًا عالمًا حكمًا فاذهب إليه كل يوم، وتعلم الحكمة، وخذ منه بالتواضع، واترك الكِبْرَ"[٤] ، ويتضمن قوله بيان قيمة العلم وآداب طالب العلم، ثم يزيد القيمة رسوخًا في نفوس طلابه بتأكيده فضل العلم في ترسيخ المكانة وتحقيق الرئاسة وتحقيق ما يجب عليه من حقوق من تولى أمرهم: " خذ مني العفة يا بني فاطلب

(١) ينظر/ محمود الكاشغري وجهوده العلمية في ديوان لغات الترك/ أساتذة قسم اللغة العربية/ ١٢٣ وما بعدها/ الجامعة الكويتية الدولية ٢٠١٦م

(٢) ديوان لغات الترك/ ١/ ٣٠٦

(٣) ديوان لغات الترك/ ٢/ ٢٤٤.

(٤) ديوان لغات الترك / ٢/ ١١١

الأدب حتى تصير كبير القوم، فترفق فيهم بالحكمة والأدب"[١]ويؤكد هذه المعاني بذكر مقابلها، فيقول: اطلُبْ الحكمة وَالأدَبَ، فبغيرِ تعلمٍ تتحير حالة الامتحان، وَيقال: "أر اُزلُقْ اُكْرَنْدي "أي تعلم الرَجل الحرفة وغيرها"[٢] ، فبدون التعلم يحتار العقل، وتزل القدم.

وعن قيمة الإحسان يقول: "إذا رأيت الإنسان يبتسم لك فلا تحث في وجهه الرماد الحار ، وارمقه كذلك بالتبسم، والمراد به جازِ بالإحسان إحسانًا"[٣] ، وهو خلق جليل يرفع من شأن صاحبه بين صفوف المصطفين الأخيار، ويخلد ذكره في الأجيال من بعده،ذاكرًا المثل التركي "اَذْ كو اَرْ سُنكو كي اَريرْ اَتي قَلير" تبلى عظام الرجل الصالح في التراب ويبقى ذكره مخلدًا ، يضرب فيمن يؤمر بالإحسان"[٤] ، وهذه دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (الشعراء/ ٨٤) .

وفي قيمة الكرم الراسخة في المجتمعات التركية قال يرثي رجلًا، بأنه كان "قوامًا للأمور العظام ومطعامًا كثير الوضع للمائدة بين زمهرير الشتاء، فترك الرجال يرجون من خيره وبره"[٥] وقد رسم صورة رجل عظيم يقوم بالأمور الجليلة العظيمة متحملًا المسئولية، وهي صفة شاملة تتولد عنها كل صفات المعروف التي تسدى للآخرين فرادى ومجتمعين، ومنها كثرة الإطعام وإعداد الموائد، في أصعب الأوقات التي يفتقد فيها الطعام (زمهرير الشتاء) ، ومن يعيش شتاء هذه المجتمعات يعرف

(١) ديوان لغات الترك / ١/ ٤١
(٢) ديوان لغات الترك/ ١/ ١٨٦
(٣) ديوان لغات الترك/ ٢/ ٢٢
(٤) ديوان لغات الترك/ ٣/ ٢٧٢.
(٥) ديوان لغات الترك /٢/٤٥

صعوبة الجو وقسوته، وفي مقابل دعوته إلى الكرم يذم البخيل الذي يضن بماله على الناس، قائلًا: " بأن الرجلَ يبخل بِمالهِ، فَيُوثقه، ويشتُد عليه، ويبكي عَلَيه بُخلًا، فَيجمعُ الذْهبَ، ثم يَتركه لغيرهِ [1] " ، وهي صورة منفرة ممن يكتنز المال، ويحرص عليه، ويتملكه الخوف عليه، ثم يموت ولم ينتفع به، وإنما ينتفع به غيره، والصورتان المتقابلتان توضحان المعنى المقصود وتقرره في نفوس المتلقين.

ويذكر قيمة الصبر في بيتين من الشعر:

كَلْســـا قَلـــي قَتِغْلِـــقْ اَرْ تَرْتَيـــــو سَـــــرِنْكِلْ

اُذْ لَـــك اَيشِـــن بِلِـــب تُرانجـــا اَنْكَـــرْ تِرَنْكِـــلْ

يقول: إذا أتاك بلاء وشدة فاصبر لذلك، وقل: بأنه يمضي وكن عالمًا بأمور الزمان، فلا تذهب نفسك إثر كل مصيبة جزعًا"[2] ، ومع الدعوة إلى الصبر وقت البلاء والشدة دعوة إلى عدم الحزن والجزع لشدة وقعهما على النفوس والقلوب، ولذا لم يأت الحزن في البيان القرآني إلا منفيًا أو منهيًا عنه.

ومن الصفات التي سجلها الديوان الصلح بين الناس، فيقول: "هبت الريح ونسفت التراب معناه ما لم يقع التشاجر بين الرجلين لا يصطلحان وإذا لم تهب الريح لا ينقشع السماء" يضرب هذا لمن يريد أن يؤلف بين المشاحنين"[3] والصلح بين الناس والقيام بواجب دعوة المجتمع إليه شرط استقامة المجتمع وسلامته وأمانه.

(١) ديوان لغات الترك / ١/ ٢١٧

(٢) ديوان لغات الترك / ٣/ ١٧٧.

(٣) ديوان لغات الترك/ ٢/ ٥٩.

وعن التبسم وحفظ اللسان يقول: "إذا تبسم الإنسان بوجهك فتلقه أنت بوجه طلق واحفظ لسانك حفظًا شديدًا واطلب كلامًا حسنًا في المقال والمآل"(١) وفيه يكشف عن ثلاث صفات كفيلة بأن تصنع شخصية محبوبة ذات تأثير في المحيط الاجتماعي، طلاقة الوجه، وحفظ اللسان عما يشين ويؤذي، وانتقاء ما طاب من الكلمات، ويؤكد هذه القيم بأهمية التبسط إلى الناس، لما له من أثر في نفوس الناس: "نظر إليَّ حبيبي وَداواني بنظرةٍ. وأشار إلى بالسلام. فَبَقيتُ في أثره فَبَرَدَ قَلبي من مِحنٍ تُصيبني. وَالحزنَ يضنيني". (٢) فكم من بسمة حانية وكلمة رقيقة أراحت قلبًا، وجبرت خاطرًا، وشفت عليلًا، وأسرت رقابًا.

واشتمل الديوان على قيم أخرى عديدة منها: الكلمة الطيبة–الحرص على المشورة –الوفاء بالعهد–التمسك بالكلمة–الشجاعة–إتقان العمل–الإبداع والابتكار–التعاون ومساعدة الناس–حسن تدبير الأمور–كياسة المؤمن وفطنته–الحذر من الفتنة–حذر من فتنة المال–التنفير من الغدر والخيانة.

هذه القيم وغيرها مما هو منثور في صفحات الديوان تكشف عن أخلاق الترك ومبادئهم وقيمهم الراسخة، والمستمدة من الإسلام الذي أعزهم الله به، فلم يكن غرض الكاشغري من ذكر الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال تأكيد فصاحة المفردات وشرعنتها فقط، وإنما يضاف إليها تقرير تميز عالم الترك الأخلاقي، وإسهامهم في ارتقاء السلوك الإنساني، وبذلك البيان الكثيف عن أخلاق القوم باللغة العربية الجارية من مداده عذبة طيعة سلسة يظهر الكاشغري لغة الضاد كوعاء عالمي لنقل قيم الأمم الأخرى وأخلاقهم وحفظها من الضياع، مما يشعل روح الجدية في طلبها وإتقان تعلمها.

(١) ديوان لغات الترك/ ٣/ ٣٢

(٢) ديوان لغات الترك/ ١/ ٢٠٧

المبحث الثاني

المعجم اللغوي بين العربية ولهجات الترك

اختار محمود الكاشغري منهجًا عربيًا لديوانه متخذًا من منهج الخليل بن أحمد الفراهيدي مثالًا، إلا أنه أثبت المستعمل ، وترك المهمل، وهذا مبين عن شخصية علمية ذات رؤية واستقلالية، فيقول: "وضعته مرتبًا على ولاء حروف المعجم موشحًا بحكمة أو سجع أو مثل أو شعر أو رجز أو نثر، وحصرت هذه اللغة في ثمانية كتب، أولها كتاب الهمز، قدمناه تيمُّنًا بكتاب الله تعالى، والثاني كتاب السالم، والثالث كتاب المضاعف، والرابع كتاب المثال، والخامس كتاب ذوات الثلاثة، والسادس كتاب ذوات الأربعة، والسابع كتاب الغُنَّة، والثامن كتاب الجمع بين الساكنين". (١)

وتصنيف معجمه بالعربية واقتداؤه بصنيع صاحب (العين) يضع عالم الترك الكبير أمام لغة الضاد المهيمنة والجديرة بأن تصنف بها معاجم لغة الترك ولهجاتها، مما يلهب حماسهم ويشعل نهمهم ويثير همتهم لإجلالها والإقبال على اكتسابها.

وقد حرص على إظهار قوة لغته الأم ولفت انتباه العرب إليها، وإلى ما يتملكه من الفخر بها واعتزازه بالانتماء إليها، فقصد إلى المقارنة بينها وبين العربية في مواقع عديدة في معجمه، وبينها وبين الفارسية في بعضها، وبهذا الصنيع يعد من أوائل من ضرب بسهم في علم اللغة المقارن، فهو ثاني اثنين مع معاصره ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) القائل: "الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية ...لغة واحدة تبدلت مساكن أهلها، فحدث فيها

(١) ديوان لغات الترك/١/٤ ، وينظر/ محمود الكاشغري وجهوده العلمية/ ١٤ وما بعدها.

جرش[١] كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ... وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلًا لا يخفى على من تأمله... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل" . [٢]

وإذا كان ابن حزم تنبه إلى ما بين اللغات الثلاثة (السريانية والعبرانية والعربية) من وشائج قربى، فإن الكاشغري قصد إلى إثبات مكانة اللغة التركية بجوار فخامة اللغة العربية ومكانتها العالمية كلغة العلم والثقافة والحضارة آنذاك، مما يلفتنا إلى أننا أمام لغوي تفرد بريادة علم اللغة المقارن الذي عرف مقتبل القرن التاسع عشر.

كما نضع أيدينا على دقة الكاشغري وذكائه اللغوي المعتمد على "وضع الأسس والمعايير التي تقبل التطبيق على مادة اللغة كلها، وكذلك وصف اللغات كل على حدة بدقة"[٣] وبذلك أصبحت اللغة التركية في معجمه واضحة المعالم ظاهرة الخصائص واضحة السمات، ويسلسل لمتعلمها اكتسابها، والتعرف على أوصافها، ووراء ذلك جهد وبذل وبحث لتأسيس منهاجه الذي رسمه لمعجمه اللغوي فيقول:"فمِلتُ إلى هذا الترتيب" أي المستعمل دون المهمل، طلبًا للتخفيف، وتقصيرا

(١) (الجَرْشُ: من جَرَشَ، يَجْرُشُ وهو الصوت الذي يحصل من أكل الشيء الخشن، وهو هنا كناية عن صعوبة نطق بعض الأصوات-باب الجيم ، مادة جرش ، ج ١ /٥٩٩-لسان العرب: ابن منظور الأنصاري-دار صادر – بيروت-ط(٣)-١٤١٤ هـ

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الأندلسي، ج١/٣٠تح: أحمد محمد شاكر-دار الآفاق الجديدة-ط(٢)-١٩٨٣م

(٣) أسس علم اللغة: أحمد مختار عمر ص ٢٥٤-عالم الكتب-ط(٨)-١٩٩٨م.

للتأليف، وبَرَزْتُ في تصنيفٍ لم أُسْبَقْ إليه، وتأليفٍ لم يُوقَفْ عَلَيْهِ، ليكون للمتأخِّر هاديًا، وفي التطرق إليه مَنْهَجًا، فجمعت فيه الأشياء المذكورة، واللغات المشهورة، فبلغ الكتاب في الجودة نهايتها، وتذَرَّى في اللطافة غايتها، وقاسَيتُ سنوات من بُرَحائها، حتى أنَخْتُ كل كلمة محلها، وأنهضتها من عُدَوائها ليُصادفها في مبركها طالبُها ويرصدها في مسلكها راغبُها، حتى ليَّنتُ وَعْرها وبيَّنتُ غَورها وقَعرها"[1] وجمال عربيته وفصاحة مفرداته وبلاغة تراكيبه تخلب الأسماع وتأسر القلوب، وهي تميط اللثام عن تأسيس نظام معجمه وما وصل إليه من تفرد وتميز، وما قاساه في سبيل امتلاكه ناصية كلمات لهجات الترك ورصد مسالكها، وتبيينه غورها وقعرها، وهو فيه سابق هادٍ لمن يسلك هذا الضرب الشاق، وميدان أولي العزم والبذل.

ولم يتوقف جديد الكاشغري عند هذا، وإنما طفق يجول ويصول بين قبائل الترك ويصف تلك القبائل ويصنفهم بين الفصاحة والركاكة فيقول: "أفصح اللغات لمن لا يعرف إلا لسانًا واحدًا، ولم يختلط بالفارسي، ولم يتعود نزول البلاد. ويقصد بقوله: نزول البلاد ، أي: المدن والقرى أما من كان ذا لسانين، واختلط بأهل المدن ففي ألفاظه تدخل الركاكة، من مثل قبائل: سُغْداق و، كنجاك، وأرغو[2].

وقد بلغت عنده عشرون قبيلة ويرجع نسبهم إلى يافث بن نوح عليه السلام، وجدهم الأكبر هو تُرْك بن يافث بن نوح عليه السلام، وكل قبيلة فيها من البطون مالا يحصيهم إلا الله، ثم أنزل تلك القبائل منازلهم ابتداء من حدود الروم غربًا إلى حدود الصين شرقًا مما يدل على معرفته التامة بتلك القبائل وأسمائها، وأماكن تواجدها على أرضها، وأوضح أن أول تلك القبائل من جهة الروم هي: بَجَنَك، ثُمَّ قفجاق، ثم أُغُزْ، ثم يَماك، ثم بَشغِرت، ثم يَسْمِل، ثم قاي، ثم يباقو، ثم

(١) ديوان لغات الترك، ج١، ص ٤

(٢) ديوان لغات الترك، ج١، ص ٢٧-٢٩

تتار، ثم قرقز، وهي على تخوم الصين، ثم جِكِلْ، ثم تُخسي، ثم يَغما، ثم إغراق، ثم جَرُق، ثم جُمُل، ثم أَيغُرْ، ثم تَنَكُتْ، ثم خُتاي، ثم تَفغاج [١].

وهذا منه إشارة إلى ما اصطلح عليه في عصرنا بعلم اللغة التاريخي[٢] (حينما حاول جهده البحث عن تاريخ اللهجات التركية المحلية التي راجت في بلاد تركستان لتأصيل الظواهر اللغوية السائدة آنذاك؛ ليقدم لنا وثيقة تاريخية وحضارية عن المنجز اللغوي التركي، فيثبت المستعمل من اللهجات المحلية، ويصف بدقة دينامية التراكيب اللغوية ومدى مرونتها في الاستخدام)[٣] وبهذا التصنيف والتوضيح لمنازل القبائل من حيث الفصاحة يبين عن جهد كبير في معايشة القبائل والاتصال بهم والتلبث أمام تفاصيل كل قبيلة وبطونها، يحقق ما عرف به علم اللغة الوصفي المعني بوصف اللغة وفحص ظواهرها ومظاهرها في فترة تاريخية معينة[٤].

وفي مسيرة الكاشغري المعجمية لا ينسى اغتنام عالمية العربية ودوران العلوم والمعارف في فلكها ، فيستعير ألقاب كتب معجمه وأبوابه من العربية لشهرتها ومعرفة الناس بها، فيقول: "ولقد تخالج في صدري أن أبني الكتاب كما بنى الخليل كتاب (العين) وأذكر المستعمل والمهمل معًا ؛ لأُعْلِمَ أن لغات الترك تجاري العربية كفرسي رهان، فكانت تلك الطريقة أوعب إلا أن هذا البناء أصوب،

(١) محمود قشغاري وجهوده العلمية في ديوان لغات الترك /١٧

(٢) علم يعنى بدراسة التغيرات التي تعتري لغة ما، أو مجموعة من اللغات عبر مسيرتها في الاستعمال اللغوي، ومظاهر هذا التغيير، وأسبابه، ونتائجه. ويعتمد علم اللغة التاريخي على علم اللغة الوصفي " اللغة العربية واللغات السامية والشرقية: محمد صالح توفيق ص١٦.- ٢٠١٠م.

(٣) محمود قشغاري وجهوده العلمية في ديوان لغات الترك/ ١٥

(٤) أسس علم اللغة: أحمد مختار عمر ص ٣٦

لما أن مأخذه أقرب، والناس فيه أرغب، فأثْبَتُّ المستعمل، وأهْمَلتُ الْمُهمَل طلبا للاختصار.

وساق نماذج لما هو مستعمل، ولما هو مهمل، ليُعْرَفَ مجاريه في التركية، ومن أمثلة ذلك[١]:

م	الكلمة	معناها	مستعملة	مهملة
١	اَرِق	النَّهْرُ	مستعملة	
٢	رَقا	لا معنى لها		مهملة
٣	قيز	الجارية	مستعملة	
٤	زِقي	لا معنى لها		مهمل

وتتوالى المقارنات المعجمية بين العربية والتركية في ديوانه، من ذلك ما ذكر من الأصوات وتعدادها ومخارجها، والحروف المتشابهة والمتقاربة في اللغتين، وما تفردت به كل لغة، ثم وازن بين اللغتين من حيث الاشتقاق أسماء كانت أم أفعالًا، ومن حيث التصريف والبناء والتقديم والتأخير والحذف والإضافة، ونسوق أمثلة على ذلك:

- عدم وجود حرف الثَّاء العربي في اللهجات التركية بأسرها[٢].
- عدم وجود حروف الإطباق العربية (الصاد والضاد والطاء والظاء) في اللهجات التركية [٣].

(١) ديوان لغات الترك/ ١/ ٥ وما بعدها وينظر/ محمود قشغاري وجهوده العلمية في ديوان لغات الترك/ ١٩، ٢٠ .

(٢) ديوان لغات الترك/ ١/ ٥ وما بعدها .

(٣) ديوان لغات الترك/ ١/ ٥ وما بعدها .

- جمع الترك بين الساكنين في كلمة واحدة بخلاف العربية، مثل كلمة (كانْجْ) الطفل، وكل صغير من الحيوان ، كما بين ما في بعض اللهجات التركية من ركاكة لاجتماع ثلاثة سواكن فيها، مثل كلمة (بالْقْ) التي تعني: السمك، وتعني الطين كذلك[١]. ولاحظ ما في الكلمتين من الجمع بين المعاني المتقاربة، فصغير الإنسان متسق مع صغير الحيوان، والسمك مع الطين، وهي سمة في اللهجات التركية.
- وفي مقارناته بين اللغتين يذكر اتفاق اللغتين في إبدال الكاف شينًا، وذكر من التركية" أُولُوكْ" ومعناه (النَّصيبُ) فيقولون:" أُولُوشْ"، وقارنها بما في العربية قائلا: "وهذا كما في العربية، تُبدل الكاف التي للتأنيث بالشين، كقول المجنون: (فعيناش عيناها وجيدش جيدها) [٢] أراد به عيناك وجيدك.[٣]
- ونتلبث أمام هذا النموذج في المقارنة بين اللغتين الكاشف عن بلوغه في معرفة اللغتين مبلغًا من الفهم والدقة في بيان ما بينهما من توافق أو تباين، فيأتي بمثال لقلب الألف نونًا، في كلمة (أَنْدا) وهي حرف بمعنى (هناك) والغُزِّيَّة تقلب الألف نونًا، ويقول: وهذا جائز في اللغة العربية، كما قال تعالى: "وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ" في قصة موسى عليه السلام، فالألف مبدلة من النون، لأنه لا يجوز في الكلام، الاستفهام للعقلاء أن يُقال: "ماهذا"، وإنما يُقال: " مَنْ "، وقوله تعالى: " لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ". فالألف مُبدلة من النون. قال الأعشى:

---

(١) المصدر السابق /١/ ٣١٧ .

(٢) ديوانه/ ٤٥ تعليق يسري عبد الغني/ دار الكتب العلمية/ والبيت كاملا يروى بالكاف: فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... سوى أن عظم الساق منك دقيق.

(٣) ديوان لغات الترك/٢/ ٦٠.

ولا النُّصُبَ الْمَنصوبَ لا تَعبُدَنَّهُ لِعاقِبَةٍ واللهَ رَبَّــكَ فاعْبُــدا أراد "فاعْبُــدَنْ"[1]

وقوله عن (ما) في (وما رب العالمين) غير دقيق، لمجيئها بدون قلب ألفها نونًا، ففي بغية الإيضاح: (ومعلوم أن ما يطلب بها شرح الاسم أو ماهية المسمى. ويرى السكاكي أن ما يسأل بها عن الجنس، وسؤال فرعون (وما رب العالمين) إما عن الجنس لاعتقاده لجهله بالله تعالى أن لا موجود مستقلًا بنفسه سوى الأجسام. كأنه قال: أي أجناس الأجسام هو؟ وإما عن الوصف طمعا في أن يسلك موسى عليه السلام في الجواب معه مسلك الحاضرين. فيجاب بأن فرعون رب العالمين مثلهم)[2] ففي التعبير بما تصوير (لكفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده)[3] كما يلمح من ورائها جانبًا من شخصية الطاغية ، وهو تجاهله وجهله بدلالات اللغة التي يعبر بها، ولم يعبأ سيدنا موسى عليه السلام بهذا ولا بسخرية فرعون منه وتجنينه له، وإنما انطلق في تسبيحة تملأ الكون الفسيح: (قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)) من سورة الشعراء.

وبهذه المقارنات بين اللغتين يهدف الكاشغاري إلى تأكيد سبق العربية وعلو شأنها، وكمال صفاتها وأوصافها، وتميزها بسمات فريدة، وخصائص عديدة، مكنتها من البقاء والتطور واستيعاب جميع العلوم والمعارف، فإذا ما شابهتها التركية في

(١) ديوان لغات الترك، ج٢، ص ١١٧.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة/ عبد المتعال الصعيدي/ ٣٣، ٣٤/ مكتبة الآداب/ القاهرة .

(٣) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير/ محمد نسيب الرفاعي/ ٣/ ٣٢٩/ مكتبة المعارف الرياض.

بعض أصواتها وأنواعها، والحروف وإبدالها، واشتقاقاتها الاسمية أو الفعلية، فبرهان على تميز التركية وكمالها دون غيرها من اللغات الأخرى، لاكتسابها بالمقارنة جمالًا من جمال العربية، وجلالًا من جلالها، وبهذه الطريقة يقدم للعربية في مجتمعه العريض خدمة عظيمة، بدعوتهم إلى تعلمها والفوز بنيل شرف التحدث بها، وهي طريقة لم يسبق إليها ولم يلحق بها، فقد جعل من كتابة معجمه رسالة إجلال للغة العربية واستنهاض الهمم لاكتساب لغة الكمال ومقاومة ما يعتري اللغات الأخرى من تبدل وتغير وضعف وفناء.

المبحث الثالث

القضايا النحوية والصرفية بين العربية ولهجات الترك

الباحث في ديوان لغات الترك يقبض يده على انطلاقة الكاشغري في علوم العربية النحوية والصرفية والدلالية والصوتية[1]، وفي تناوله لقضايا هذه العلوم لا يقدم نفسه بالعالم المتخصص الذي يبدي رأيه ويناقش آراء آخرين، وإنما يعرض لبعضها، ثم يقارن في الكثير منها بين التركية والعربية، ويدرك الباحث من وراء إتقانه لهذه المسائل وقدرته على تحليلها والمقارنة بين اللغات فيها أنه أمام عالم موسوعي حاز السبق في مثل هذه المقارنات، وقدم من خلالها خدمة كبيرة للعربية وعلومها، حيث يجعل من العربية وقضاياها النحوية والبلاغية وغيرها إمامًا متبوعًا، ويقرر مأمومية التركية وتابعيتها لها، فبدت العربية في ديوانه شامخة سابقة، ليس أمام العالم التركي إلا تعلمها، ونيل شرفها وعزة الناطقين بها.

وتتوفر دراستنا على بعض النماذج التي ولجها الكاشغري في التركية، ثم العود إلى مقارنتها بالعربية، ليصل إلى هدفه من اكتساب العربي اللغة التركية وإتقانه قواعدها النحوية من خلال هذه المقارنات الماتعة

- يقارن بين التركية والعربية في قضية تحول الفعل المتعدي إلى لازم بالحاق النون به، فيقول: " إذا ألحقت النون بالفعل المتعدي يكون الفعل لازمًا، وهذا موافق للعربية، لأنَّه يقال في العربية "فتح البابَ" هذا فعل متعد، ثم يقال "انفتح البابُ" هذا فعل لازم، فلما أدخلت النون تقلب الفعل من التعدية إلى اللزوم،

(١) والبلاغية كذلك وقد خصصت لها بحثا خاصا، لما وجدته يحلل ويناقش ويقارن بينها في التركية والعربية بما هو جدير بدراسة خاصة تبين عن فكره البلاغي وتحليله شواهده.

وكذلك يقال "كسرَ الرجلُ الشيءَ" ثم "انكسر" هذا فعل لازم"[١] وأنت الواجد منهجه في عرض القضية في التركية ثم ذكر مثيلتها في العربية من غير مناقشة أو إشارة إلى شيوعها أو قلة مجيئها في أي من اللغتين، على عكس صنيعه في قوله بأن الفعل: "يتعدى من الفاعلين إلى مفعول، وهذا كثير في العربية كما يقال: "لقط السُّنبل، وألقطه غيرَه، وأنقط المُصحَفَ، وأنقطهُ غيرَهُ، بزيادة الألف يتعدى الفعل من مفعولين إلى مفعول" [٢] فقد أشار إلى كثرته في العربية، ويقصد بالفاعلين: القائل للجملة والفاعل المباشر للفعل، وهذه لمحة كشغارية ذكية.

وقال: "كل فعل إذا كان ثنائيًا متعديًا فإذا أُدخلت في اللام يكون فعلا لازمًا أو فعلا مجهولًا، وأما النون إذا أُلحِقت بالفعل المتعدي يكون الفعل لازمًا، وهذا موافق للعربية؛ لأنَّه يقال في العربية "فتحَ البابَ" وهذا فعل متعد ثم يقال "انفتحَ البابُ" هذا فعل لازم، فلما أدخلت النون تُقلَّبَ الفعل من التعدية إلى اللزوم وكذلك يقال: "كسَر الرجل الشيء ثم يقال "انكسرَ" هذا فعل لازم"[٣].

- وفي ذكر القواعد التي تختلف فيها اللغتان، يقول: "لا يُبنى الفعل اللازم للمجهول في العربية، وهو يجوز في التركية"[٤] وهذه من دقائق اللغات وخصائصها.

(١) ديوان لغات الترك ٣/٧٨.
(٢) المصدر نفسه٢/١٣٦،١٥٧.
(٣) المصدر نفسه٣/٧٨، ٢٥٧.
(٤) المصدر /٢/١٠٤

- وفيما اصطلح عليه بعد بعلم الأصوات يقول: "حُجْ حُجْ: كلمة تُزجر بها الخيل، وأصلها–أجْ أجْ–فأبدلت الهمزة هاء، وهذا وافقت العربية، كما يقال هجهجتُ بالغنم، أي صحت بها عند ركوب الرأس" [١] وإذا توافقت اللغتان هنا فقد اختلفتا في قوله: "هَجْ هَجْ: وهي كلمة تُزجَر بها الخيل، إذا أرادت ركوب الرأس، وهذه اللغة وافقت العربية، وقد شذَّت عن القياس؛ لأنها جاءت مُهَوَأةً، ولا هاء في لغة الترك"[٢] وهذه مقارنة دقيقة حيث إن التركية تخالف العربية بعدم اشتمالها على صوت الهاء.
- وتحدث عن المفرد والجمع والأسماء الخمسة والأفعال الخمسة، وذكر من الأساليب الاستفهام والتعجب والنداء، مثل قوله: "الندا: أوا: بالتركية حرف نداء للداعي، إذا نودي يا محمد، فيقول المجيب "أوا"، معناه ماذا تأمر"[٣] كما ذكر النداء في تفسيره "أجْ": وهي كلمة تقوم مقام ياء النداء، بمعنى: يا هذا [٤].
- وفي المقارنة بين اللغتين في باب الصفات يقول: "باب فَعَلْعانْ، محركة الفاء والعين–هذا باب موضوع للصفات التي يكثر حدوثها من الموصوف، وهذا بمنزلة المفعال في العربية إذا كان صفة لكثرة حدوث الفعل منه نحو قولهم مطعام كثير الطعام ومحراب كثير الحرب، ويكون مقيدًا بالنون" [٥] ومفعال في

(١) ديوان لغات الترك/٢/٢٢٥.
(٢) المصدر نفسه١/٢٧٠
(٣) المصدر نفسه١/٤٣.
(٤) المصدر نفسه١/٣٨.
(٥) المصدر نفسه١/١٣٦.

العربية صيغة مبالغة من الرباعي، وهو نادر، ولما اختلف الوزنان (عَلْعانْ/ مفعال) مع توافق الدلالة دقق في المقارنة بقوله: (وهذا بمنزلة المفعال في العربية) وفيما سبق رأيناه يقول: كما في العربية، وافقت العربية، مما يشهد له بالدقة والفطنة.

القضايا الصرفية:

نشير أولًا إلى ما لا تتجاوزه عين باحث بأن الكاشغري أكثر من القضايا الصرفية بصورة لافتة، ولا يخفى علينا وثاقة الصلة بين الدراسات اللغوية والصرفية، فكلا الدراستين تتعامل مع المفردة بناء ومعنى وهيئة، فتوالت الأبواب الثمانية مشبعة بالمصطلحات الصرفية، كما تتابعت الأوزان وتصاريف الأفعال والأسماء، وليس معنى هذا اتفاق اللغتين في هذه القضايا، وإنما تتوافق وتتفارق، إذ لكل لغة قواعدها التصريفية الخاصة بها، وفيها يقدم العربية متبوعًا والتركية تابعة، ولا يخفى ما في ذلك من تفضيل وتحبيب وتحفيز لعالم الترك لتعلم العربية وتعظيمها.

- ومن مقارناته بين العربية والتركية من حيث الإشمام والإشباع والإمالة، فيقول: "والأصل في كتبة هذا الخط، أنَّ كل فتحة تقترف ألفًا في الكِتْبَةِ من غير أنْ يكون لها أصل من أصل اللفظ، وكل ضمَّة تجترح واوًا في السطر من غير أن يكون لها أصل في النطق، وكل كسرة تكتسب ياءً من غير أن يكون لها أصل، ونظيرها في العربية، الأب والأخ، في الإضافة، يقال هذا أبوك، ورأيت أباك، أو مررتُ بأبيك، كتبْتَه بزيادة حرف لأجل الحركة كذا، وعلى هذا الخط كُتُبُ الخاقانيِّة، والسلاطين ومراسيلهم من قديم الدَهر إلى اليوم من كاشغر إلى الصين العُليا محدقًا بجميع ديار الأتراك، ثم كلام الترك يحتوي الإشباع والإمالة

والرِّكَّة والغنَّة، والحرف الخيشوميَّ والجمع بين الساكنين، واجتماع القاف مع الجيم ومبادلة الباء بالميم، والنون باللام وغير ذلك"[1] فاللغتان متوافقتان في هذه المقارنة الصرفية إشباعًا وإمالة.

بينما نجدهما تتمايزان في مقارنته "إنَّ مبنى الأفعال على الماضي والأمر، إنَّما قلت بأنَّ مدارها على الفعل الماضي؛ لأنَّ أول حرف الكلمة في الواجب إذا كان مفتوحًا يتلوه الغابر، والمصدر فيكون أولهما نصبًا، وإذا كان أول الحرف منه، رفعًا يقفوه الغابرُ والمصدر، وإذا كان خفضًا كذلك، وهذا في التركية وليس كبناء العربية يقال: "قُعودًا" فضُمَت القاف في المصدر، ويقال: "مَطَرَ" فالميم مفتوحة في الماضي، وتقول: "يَمطرُ" تسكُن الميم فيه، وتقول: "مُمطُورًا" بضم الميم، ففي الصدر منصوبة، وفي المصدر مضمومة، وفي الغابر ساكنة.

ويقال في أبواب الزيادات "أكرَمَ" فالهمزة مفتوحة في الصدر ، وتقول في الغابر "يُكرِمُ" انضمت الياء، وتقول في المصدر "إكرامًا" انكسرت الهمزة في المصدر، ويقال "استغفر" فالألف مكسورة "يستغْفِرُ" استغفارًا. فالماضي في الأفعال كلِّها يخالف التِلْوَ والمصدر، وليس كذلك في لغة التُرك، فيكون على نسق واحد في أبواب الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وما زاد عليه، ويكون موافَقَةٌ بين الماضي والغابر والمصدر، والوجه الثاني، أنَّ الفعل الذي يدخل في التضعيف، إنَّما يكون في الفعل الماضي، ولا يوجد في الغابر والمصدر" [2]

(١) ديوان لغات الترك /١/٩ ، ١٠

(٢) المصدر نفسه/١/٢٤، ٢/٢٧،٢٦.

ومن التدقيق في النص نجده بدأ أولًا بما هو موجود في التركية دون العربية، وبما هو في العربية دون التركية، وقد عبر عن المضارع ب (غابر) وهي تسمية عربية قليلة الاستعمال أطلقها الخليل على الفعل المضارع [١]، ولعل السر في اختياره هذه التسمية اتباعه لمنهج الخليل واقتداؤه به، وظاهر كثرة إيراده للمصطلحات الصرفية .

- وفي مواضع أخر يقارن بين ما في التركية من قضية صرفية وما هو بمنزلتها في العربية، فيقول: "الغين تدخل في الأفعال المشبعة التي لا إمالة فيها، ولا رِكَّة، والكاف تدخل في ضدها، وهذه الغين أو الكاف في هذه اللغة بمنزلة الميم التي تُلحِق في أوائل الأفعال في العربية، كما يقال: "منجَل" من نجل، إذا قطع الخلا، "ومنخُل" من نخل الدقيق وغيره، "ومنسَف" من نسف الشِّيء إذا ذرَّاه"[٢] ويأتي من العربية بما يناظر ما في التركية الإبدال نحو قولهم :أَبْمَكْ: الخبز بلغة يغما، وتخسي وبعض الغزية، وقفجاق، ولهذا نظير في العربية وهو أنْ تُبدَل الواو من الباء لقرب المخرج ثم التاء من الواو وهذا كما جاء في القسم، تقول: بالله والله وتالله، إلا أنَّ هذا القياس بعيد في التركية"[٣]

ومنها تدرك إحاطته بقواعد علم الصرف في اللغتين ومحاولاته الحثيثة التماس ما فيهما من اتفاق وبيان ما اختلفتا فيه، مما جعله يقدم للمتلقي من بني وطنه الكبير دعوة قيمة للتعرف على العربية وعلومها التي

(١) ينظر/ موسوعة المصطلح النحوي من النشأة إلى الاستقرار/ د/ يوحنا مرزا الخامس١/ ١٩١/ دار الكتب العلمية

(٢) ديوان لغات الترك /١/١٣، ١٤.

(٣) المصدر نفسه١/٩٣.

تتوافق مع لغتهم الأم، كما يعرف العربي المقبل على تعلم لغتهم بقواعدها النحوية والصرفية والصوتية التي لا يصعب عليه فهمها وتطبيقها لما بينها وبين العربية من توافق في كثير منها.

وفي نهاية هذا المبحث نؤكد على ما يمتلكه صاحب الديوان من معرفة واسعة بعلوم العربية من نحو وصرف وأصوات ودلالة، ومقدرته على المقارنة بين العربية والتركية في الكثير من قضايا هذه العلوم، وسبقه بهذا المقارنات التي لا يوجد لها نظير في هذا العصر الغابر.

المبحث الرابع

العربية جسر للتواصل الثقافي والحضاري

بين العرب والترك.

اللغة هي الوعاء الأهم لنقل الأفكار وتبادل الثقافات بين أبناء الوطن الواحد، ثم بين الشعوب على اختلاف ثقافاتها ومنازعها، وكلما قوي هذا التبادل والتواصل تقاربت الأفكار وتآزرت الثقافات وتشاركت المفهوم الإنساني العام، مما يجعل العالم أكثر أمنًا وأقرب تواصلًا.

وما أشد حاجة الإنسانية اليوم إلى هذا النفر من المثقفين الذين يعون أن الثقافات تكامل وتواصل وتعاون لا تناقض ولا تقاطع، وأنها مهما اختلفت فالمشترك بينها كبير، ونحن–المسلمين–تجمعنا ثقافة واحدة، مستوحاة من ظلال كتاب ربنا وسنة نبيه الكريم، ومنسولة من هذا التراث الممتد من مئات السنين، ومع ذلك فإن الأمة تحتاج وصالًا ثقافيًا يجمعها ويربط بين تفكيرها (العقل) ومشاعرها (القلب)، ثم يوصلها بالمشترك الثقافي العالمي، لتتبوأ مكانها المستحق بخير أمة أخرجت للناس.

ومنذ أكثر من ألف سنة أدرك الكاشغري أهمية هذا التواصل الثقافي بين مكوني الأمة الكبيرين عالمي: الترك والعرب، فجعل من شواهده التي اصطفاها لبيان مفرداته وعاء لنقل حضارة وثقافة أمته التركية إلى العرب، فجاءت منهجيته تلك مخالفة لكل مؤلفي المعاجم المعاصرين له (القرن الخامس وما قبله) فتراهم

يهدفون مما أوردوه من شواهد تبيين شرعية المفردة الهدف ودلالتها[1]، بينما نجدها في ديوان الكاشغري نابضة بشتى جوانب حياة الأتراك ثقافة وعادات وحكم وعادات وأطعمة وملابس بدلالات ألوانها، وتاريخ وجغرافية وأساطير وملاحم توارثتها الأجيال وتناقلتها فيما بينهم.

إن الكاشغري بهذا النهج المتفرد قد قدم لأمته التركية وللأمة العربية فرصة عظيمة للتقارب والتعاون والترابط برباط ثقافي نقل من خلاله حضارة أمته وثقافتها إلى العالم العربي، وجعل من العربية الوسيلة المائزة لنقلها وخلودها، فغدا ديوانه المصدر الوحيد الذي يصدر عنه كل من يريد التعرف على ماضي هذه الأمة العظيمة، وغدا هو رائد التواصل الثقافي والحضاري بين الأمتين الكبيرتين، ومثالًا يحتذى لكل طارق باب الثقافة العالمية قاصدا تشاركها وتواصلها.

وسنتناول بعض النماذج الوافية من الشواهد الشعرية متعددة الأغراض، ثم الحكم والأمثال، ثم العادات والتقاليد، ثم القضايا التاريخية والجغرافية لقبائل الترك بوسط آسيا.

الشواهد الشعرية:

لم يتوقف إبداع الكاشغري في ديوانه، فقد خالف المعهود في معاجم اللغة بأن يورد الشاهد بالتركية ثم يبعثه من جديد في ثوب عربي منسول من روحه التركية المنشأ العربية الهوى، واشتملت على العديد من الأغراض الشعرية المعروفة لدى

(١) فالمعاجم العربية التي ألفت أواخر القرن الثاني الهجري بدأ بمعجم العين للخليل الفراهيدي(ت:١٧٥هـ)،والجمهرة في اللغة لابن دريد الأزدي (ت:٣٣١هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري(ت: ٣٧٥هـ)، ومقاييس اللغة ومجمل اللغة لابن فارس(ت ٣٩٥:هـ)، وتاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(ت: ٣٩٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) توجهت همتها إلى تأكيد عربية المفردة وبيان دلالتها.

القارئ العربي، فيسر بذلك تعلم التركية ، وهو هدفه الرئيس، من تأليف ديوانه، ثم أبان عن جمال العربية وعلو شأنها وقدراتها العابرة للثقافات والتاريخ والجغرافيا لتحمل أفكار وعلوم وثقافات شعوب العالم، أدى ذلك بطريقة فريدة حفظ من خلالها اللغة التركية وثقافة قومه وحضارتهم، وقدم خدمة كبيرة للعربية تحتاج الكثير من البحوث والدراسات المتنوعة المشارب والمناحي العلمية: العربية والتاريخية والجغرافية والثقافية، لتأكيد تفرد هذا العالم اللغوي الكبير.

لقد بين الكاشغري منهجه الخاص في استعمال شواهده من الأدب التركي شعره وحكمته ومثله وتوشيح ديوانه بها، حيث وضعه: "مرتبًا على ولاء حروف المعجم موشحًا بحكمة أو سجع أو في مثل أو شعر أو رجز أو نثر حتى لينت وعرها، وبينت غورها وقعرها، وقاسيت سنوات من برحائها، حتى أنخت كل كلمة محلها، وأنهضتها من عدوائها، يصادفها في مباركها طالبها، ويرصدها مسلكها " [1] وقد اختار ما يحقق هدفه من جذب العربي إلى تعلم لغة الترك، ويؤدي مع ذلك دوره المعجمي ونقل الثقافة والتاريخ والعادات معا، شاملا معظم الأغراض الشعرية.

غرض الوصف:

يحظى غرض الوصف بنصيب وافر من الشعر منذ نشأته إلى يومنا[2]،

(١) الديوان: ٤/١

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني ١٩٤/٢-تح: محمد محيي الدين عبد الحميد-دار الجيل-ط(٥)-١٩٨١ م .

وأجوده ما يصوّر الموصوف لك فتراه نصب عينك"[١] ويسوق الكاشغري من الشواهد الوصفية التي تكشف عن دقة اختياره في تحقيق هدفه بأن شعراء الترك في وصفهم لا يبتعدون عن وصف العرب وخيالهم، فيقول في وصف المعارك: [٢]

تَنْكُـــتْ سُسِـــنْ اُشِـــكْلادي كشـــي ايشِـــنْ الكـــلادي

ارن اتِـــــن بلكـــــلادي بلـــن بولـــب بشـــي تغـــدي

يشرح البيتين قائلا: (بأن العدو بيت جند تنكت وهي ولاية قرب الصين في شدة البرد كي لا الظفر، ثم سخر منهم، حتى أهدى خيله ورجاله هدية لنا، فطأطأ رأسه لما قاسى من المحن)

وفي وصف الربيع يقول: [٣]

قِـــزل ســـرغ آرقشـــب يـــيكن يشـــل يُزكشـــب

بِـــر بِـــر كـــرو يركشـــب يلســـكق آبـــي تنكلشـــور

يصف الربيع ويقول: بأن الأنوار والأزهار والحُمْرَ والصُفْرَ تتراكم والرياحين الخضر والأتحمي يلتف بعضها على بعض فيتعجب الأنام منه.

وفي وصف مناظرة الصيف والشتاء: [٤]

(١) الصناعتين: أبو هلال العسكري ص ١٢٨-المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم-المكتبة العنصرية – بيروت-١٤١٩ هـ

(٢) الديوان: ٢٥٨/١

(٣) ٣٣١/١

(٤) ٢١٠/١

فبلجـــق بلـــق يغرلـــوز جنـــاي شـــر يغرلـــوز
ارنكـــك لـــري اغرلـــوز اذغـــج بـــلا افرشـــوز

يقول في مناظرة الصيف مع الشتاء بأن الطين والوحل يتراكم، وأن الفقير المسكين يتقبع، فينفصل أصابعه ومن شدة البرد، ويتعلل بقبس النار.

وفي وصف رحلات الصيد: يقول: (١)

تُسُـــن منـــب سكرتســـن آســـز لكـــن آمرتســـن
اتقـــا كيـــك قيترتســـن تيتـــيمش ســـاني أُمـــنلم

يصف فتى ويقول: فليركب المهر ويعديه. حتى يسكن طماحه، فيصيد على ظهره ويغري الكلب على رد الصيد إلينا. فنعده بعده أن الصيد أخذ فرجوا أكل لحمه بعد.

ويصف طباع الناس قائلا: (٢)

كلســـا ينكـــا يلغـــرا أوذن آبـــي أذغـــرا
برســـن تروقـــذغرا ســـبى منـــك ايمـــي

يصف رجلا غدر به ويوعز إنسانًا ويقول بأنه إذا آتاك مارًا في طريقه فأيقظه من نومه وعرفه صنيعه حتى يذهب مهتمًا؛ لأنه باع خادمي بغير إذني.

ومما يلفت النظر في شرحه أبيات الوصف تصديره شرح شواهده بقوله: (يصف...) ليستبين وعيه بما تتضمنه الأبيات من غرض، والتعبير عنها بما يتسق معها من العربية.

(١) ٣١٦/٣
(٢) ١٥٢/٢

وفي غرض الغزل تتوالى الشواهد:

فيما يقترب من الخمسين بيتًا يظهر الغزل، ذلك الغرض الذي لا يكاد أحد أن يخلو منه وأن يضرب فيه بسهم حلالًا كان أو حرامًا[1] ، وحده أن يكون عذب الكلمات سلس المعاني لاعتلاقه بالقلوب وارتباطه بشغف النفوس[2] ، ومنه العفيف المستطاب، ومنه المادي الجرئ المغامر، ومن الأول قوله: [3]

أوذيـــــك ميْنـــــي قمتـــــي ســـــقتج مســـــكا يمبـــــي

كونكـــــاوم آنكـــــار آمتبـــــي يـــــوزم منـــــك ســـــرغرور

يقول: هيَّجني الشوق والتحنُّن إلى المحبوب. فاجتمع إليَّ الهم، لما مال قلبي إليه، فلذلك يصفر وجهي.

وأما الغزل المادي المكشوف فجيئ به قليلًا لم يتجاوز عشر أبيات، فمثله لا يلجأ لمثل هذا الغرض إلا للضرورة، تأكيدًا لصحة انتساب المفردة للهجات التركية، ومن شواهده : [4]

بُلنـــــار مينـــــي أولاس كـــــوز قـــــرا منكيـــــز قيزيـــــل يـــــوز

انـــــدين تمـــــار توكـــــال تـــــوز بلنـــــا بينـــــا أول قجـــــار

يقول: تسبيني هذه العين السكرى بوجه صبيح وخال عليها مليح، كأن الملاحة تقطر من خديه، ثم تفر عني بعد ما سبتني.

ومن شعر الحكمة الذي يختصر تجارب القرون الغابرة، ويحملها إلى الأجيال الجديدة، فيستقيم حاضرهم ويشرق مستقبلهم، والحكمة هي الكنز الأغنى

---

(١) الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة-٧٦/١ دار الحديث، القاهرة-١٤٢٣ هـ

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني ١١٦/٢

(٣) الديوان: ٦٦/١

(٤) ٥٨/١

الذي يتملكه الأبناء عن الأجداد، وقد عمد الكاشغري إلى تحلية ديوانه وتزيينه بشعر الحكمة في الأدب الشعري التركي، بلغت أبياتها خمسين بيتًا، فهي الأكثر ورودًا بعد غرض الوصف، وبذلك يصارع حكمة قومه بحكمة العرب المعروفة لقارئي الكتاب، من ذلك قوله: (١)

أَرَن قمُـــــــغ ارتـــــــدي نانـــــــك لـــــــر أُذُو
تغـــــار كـــــرب أُســـــن ليـــــواس كاجقـــــار

يقول بأن أخلاق الرجال قد فسدت لما طمعت في الأموال، فلما رأوا المال انقضوا عليه كما ينقض النسر إذا رأى الجزر.

وغرض النصيحة أقرب رحمًا بالحكمة، فما تؤدي النصيحة هدفها إلا إذا كانت ممن يملك حكمة عقل وإخلاص قلب، وقد بلغت شواهده أربعة وثلاثين بيتًا، ظهرت فيها الروح الإيمانية والقيم الإسلامية النبيلة التي غرست في المجتمعات التركية فأثمرت وأينعت، ومنها قوله : (٢)

اشـــتِبْ آتـــا آنانـــك نـــك ســـــفلربي قـــــدرما
ننـــك قـــب بلـــب كفزلـــك قلـــن بينـــا قترمـــا

يقول إذا سمعت كلام الأبوين فلا تردن عليهما، وإذا وجدت مالًا وجدًا فلا تصلف، ولا يأخذنك البطر، ولا تعد طورك.

وبلغت أبيات غرض الرثاء أربعة وعشرين بيتًا. التفتت معظمها إلى إظهار الفجيعة والحزن على مقتل الملك أفراسياب، وفقد ما كان يتمتع به من النجدة والنجابة والإقدام، من ذلك قوله: (٣)

(١) الديوان : ١٦/٢
(٢) ٤١٩/١
(٣) ديون لغات الترك: ٤٤/١

ألـــــب آر تنكـــــا الـــــديمو ابســـــير آزول قلـــــديمو
أذلـــــك أوجـــــن الـــــديمو آمـــــدي يـــــرك برتلـــــور

معناه آمات الملك آفراسياب، وهل بقيت الدنيا العارمة البذية خالية عنه، وهل أخذ الدهر ثأره منه، وانتقم، فالآن يتصدع منه القلب أسفًا على ملكه وغيظًا على الزمان.

وقد جاء ت شواهد قليلة لغرض المدح والعتاب والهجاء.

والذي يلفت نظرنا هو حسه الشعري وذائقته اللغوية وقريحته السليمة الكامنة وراء اختياراته المتنوعة، وحسن عرضها وجمال تحليلها المبدوء غالبًا بكلمة توجه إلى الغرض من الأبيات، كقوله في الوصف، يصف كذا، وفي الغزل يصف جمال محبوبته وطيفها، ولا يخفى على باحث في ديوانه تأثره بالشعر العربي وأغراضه، بل لا تغيب مقارنته بين الشواهد التركية وما يقابلها من العربية، كما يرى تأثره ببعض التراكيب الشعرية العربية المعروفة، وقد ذكرنا ذلك في المبحث الأول.

وبتفرد منهج الكاشغري وسبقه في شرح الأبيات التركية بعربيته الرشيقة يقدم العربية كأغنى لغة عالمية قادرة على حمل المعاني الشعرية والمشاعر الإنسانية في الأدب الشعري العالمي، وهذه وسيلة في خدمة العربية لم يسبق إليها.

الحكم والأمثال:

تناثرت الأمثال في ديوان الكاشغري بصورة لافتة، مما زاده غنى وثراء ووفرة أدبية وحكمة مجربة، تقع من النفوس العربية القارئة ديوانه موقعًا آسرًا، وتزيد قناعته بما عند الترك من حكمة وحنكة وتجارب لا تقل عما عند العرب، وقد سبق ذكرنا قوله:" ونثرتُ فيها شواهد من أشعارهم، التي تفوهوا بها في إيذانهم بالأمور وإشعارهم. وكذلك الأمثال التي ضربوها على مدارج الحكمة، في الكربة والنعمة، حتى بلغ القائل الناقل، وأوصل الناقل الخامل، فجمعتُ فيه الأشياء المذكورة،

واللغات المشهورة، فبلغ الكتاب في الجودة نهايتها"[١] وبلغت مواقعها في ديوانه مائتين وتسعة وسبعين موقعًا، ولعله قصد من وراء هذه الكثرة بعد تحقيق صحة نسب مفرداته ودلالاتها بيان ما عند قومه فكر من إنساني وطرق الحياة والعلاقات ووسائلها[٢]، وبناء صلات التواصل بين العرب وتراث قومه وثقافتهم.

ومن شواهد الحكمة في الديوان:

- "ألا بُلسا يُول آزْماس. بِلِكْ بُلساسُوزْيَزْماس" معناه: إذا كان في المفازة اِرِم لا يُضَلُ الطريق، وإذا كان في الرجل عقلٌ لا يخطئ في الكلام.
- "آلْبْ آرِكْ يَفْرِتْما. اِقيلاجْ آرْقاسنْ يَغْرِتْما" ويقول: لا تسئ ولا تُضعف الرجل البطل، ولا تدبر ظهر الجواد السبوح، ينصح الأمراء بذلك.
- "تِفى يُكْ كُتُرسا قَمِجْ يما كُتُرْ" ومعناه إذا حمل البعيرُ الحِمل أجمعُ فإنه يُطيقُ حمل المغرفةِ أيضًا، ونظيره عند العرب" أتبعِ الفرسَ لجامها".
- " آلبْ يَعْيدا الجَقْ جُعْيدا" معناه: إنما يختبر البطل عند ملاقاة العدُوِّ. كما أن حلم الحليم يُجرَّبُ في الجدال. ونظيره في العربية قولهم:" إن الجبان حَتْفُه من فوقه" ويُضرب في ذم الجبن، والدعوة إلى الشجاعة، والمبادرة إلى قراع الخصوم.
- "قازْ قُبسا اُرْدَكْ كُولِكْ اِكانورْ" ومعناه: إذا نهض البط من الحوض تملك الإوز الحوض، يُضرب هذا في خامل يشرفُ على القوم بعد ذهاب السيد منهم.

(١) ديوان لغات الترك. محمود قشغاري. ٧/١

(٢) أهمية الأمثال في تراث الأمة. يوسف بن علي بن رابع الثقفي. ص١١- مكتبة الطالب الجامعي. مكة المكرمة. ١٩٨٦.

- "أُوتْ تِيساآغيز كُيماسْ" معناه: من قال النار لا يحترق به الفم. يضرب هذا فيمن يعتذر عن كلام تكلم. فعند رجوع الإنسان إلى رشده بعد الإساءة دليل على دماثة خلقه. وهذا ما رمز له العرب بقولهم: عاد غيثٌ على ما أفسد(١).
- "كِشى آلاسى اِجتنْ. يِلقى آلاسى تَشْتين" ومعناه: أن برص الإنسان في باطنه. يعني به إضمار المخالفة، وأن بلاص الدواب خارج بدنه بادٍ، ويُضرب هذا فيمن دسَّ خيانة في تملق.

ويمكن أن يماثله من الأمثال العربية قولنا: "لا يغرَّنك الدُبّاء وإن كان في الماء" والدباء هي القرع، ويُضرب المثل للرجل الساكن ظاهرًا الكثير الغائلة باطنًا(٢).

- "اُسُقْمِشقا ساقِغْ قَمُغْ سوف كُرُنُور" ومعناه: أن العطشان يرى كل سراب ماء، يضرب في محتاج يرى في كل شيء قضاء حاجته. وفيه تأثر بما جاء في قول ربنا: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩))
- " آسَندا اِيفك يوق" معناه: لا عجلة في السلام. ويضرب هذا المثل فيمن يؤمر بالتاني في الأمور، وهو ما يتداوله العرب بقولهم: في التأني سلامة وفي العجلة ندامة.
- "اُرتَقْ آردَنْ آرتُقْ آلماس" معناه: لا يأخذ الشريك من شريكه زيادة في القسمة، ويضرب فيمن يؤمر بالإنصاف. وتقول العرب: "هذه بتلك والبادئ أظلم" يُضرب في المجازاة(٣).

(١) أهمية الأمثال في تراث الأمة. يوسف بن علي بن رابع الثقفي. ص: ٣٩.

(٢) المرجع السابق. ص: ١٣٠.

(٣) روائع الأمثال الشائعة. محمد توفيق أبو علي. دار النفائس. بيروت. ط١. ١٩٨٩. ص:٦٠.

- " آمكَـكْ آكِنـدا قَلمـاس" ومعنـاه: لا تبقـى المحنـة لازمـة لأكتـاف المحـرومين الممتحنين. وهذا بمنزلـة قولـه تعالى: إن مـع العسر يسرا، ونظيره فـي العربيـة: "الصبر مفتاح الفرج"(١)، وأيضا "من صبر ظفر".
- " بُلْغاق اُكُش بُلْسا قَجَنْ بِلِكِنك بِتار. يَنْكْشَقْ تَلِمْ سَيْرَبْ آنى تَمْغَقْ قَتارْ" ومعناه إذا كثرت الفتن بين القوم يضلُ عقلك فلا يهتدي إلى رشاده، وإذا كثر الهذيان يشتد الحنك من يبس الغم، ويؤمر بالقسط في الكلام، وهذا ما أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقولـه: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(٢).

والأغراض التي تناولتها الأمثال كثيرة ومتنوعة، تظهر تعدد تجارب القوم وتدفق أنهار فكرهم، وتكشف عن أخلاقهم ومبادئهم التي زادها الإسلام رسوخًا وشمولًا، ثم تبين عن مجاراتها لحكمة العرب ومآثرهم ومقارعتها.

وقد عرضها الكاشغري في لغة بليغة تتسم بالإيجاز لتناسب أسلوب الحكمة القليل اللفظ العميق المعنى المتدفق الفكر، وفي كثير منها يذكر المقابل العربي لها، ليدفع القارئ العربي ويحفزه لتعلم لغة الترك المماثلة للعربية ثقافة ومجدًا، كما رأيناه يذكر الآية أو الحديث الذي تضمنت حكمة الترك من سلسبيل معانيهما، وفي صنيعه بيان لجلال العربية وجمالها الذي تحاول التركية مجاراتها وتتبع آثارها ومآثرها، وتلك دعوة متجددة لدعوة قومه إلى تعلم لغة الحضارة والثقافة العالميتين، كدعوته العرب لتعلم لغة قومه العريقة.

العادات والتقاليد:

(١) روائع الأمثال الشائعة. محمد توفيق أبو علي. المرجع السابق. ص: ٤٢.

(٢) أهمية الأمثال في تراث الأمة. يوسف بن علي بن رابع الثقفي. المرجع السابق. ص: ٣٠.

بدا الكاشغري في ديوانه موسوعة شاملة وذاكرة ثقافية للشعوب التركية التي تحمل قيما أخلاقية وسلوكية ونظرتها الخاصة للحياة في القرن الحادي عشر الميلادي، فأمدنا بالكثير من عادات الشعوب التركية وتقاليدها وسلوكياتها في الملبس أو المأكل أو المناسبات الخاصة والعامة، فلكل شعب من شعوب العالم تقاليده وعاداته.

وللترك عادة مع المولود الجديد، فعُرف عنهم قديمًا مهدٌ يُسمى "بِشِكْ" فيه ثقب على شكل دائري يوضع فيه إناء ليبول فيه الطفل وهذا ينزل عن "شِمَكْ الذي يُصنع من الخشَبِ، فيقول الكاشغري: "سِبَكْ–القَصَبُ الذي يُوضَعُ في مَهْدِ الصبيّ لِيَبولَ فيه." وهذا المهد موجود لدى الشعب القرغيزي بِسَبَكْ الذي أصبح "شِمَكْ"، مما يؤكد أنها عادة متأصلة ضاربة بأطنابها في المجتمع التركي عامة والقرغيز على وجه الخصوص، ولا زال الناس يقبلون عليها، لتنتقل عبر أجيال متتابعة، ويظل لها حضور في المناسبات المشابهة.

كما ذكر في ديوانه عادات مختلفة ترتبط بالأعراس مثل إرسال خادمة مع العروس لخدمتها: "اَكَتْلِكْ قَراباشْ – الخادِمةُ التي أُعِدتْ لِتُبْعَثَ مَعَ العَروسِ لَيْلَةَ الزِفاف. والعروسُ "اَكَتْلِكْ" ومن ذلك أيضا أن أقارب العروس يرسلون لها كسوة أو مالًا إكرامًا لها، فقد جاء في الديوان"يُفُشْ–الإعانَةُ للأقارِبِ بكِسْوَةٍ أوْ بِمالٍ.

وأكثَرُ ما يُسْتَعْمَلُ هذا في العروس إذا زُفَّتْ فإن أقارِباها يَبْعَثُونَ في تَجْهيزِها ما يَعْرُضُ لَهُمْ من الإكْرامِ لها. وفي المثل" يُفش لك كَلِنْ كُذاكُو يَفَشْ بُلُورْ" معناهُ أن العروسَ إذا كانتْ مُكَرَّمَةً بأموالِ أقْرِبائِها تَجِدُ خَتَنا وقُورًا مُنْقادًا لها. لأنهُ يَجِدُها مُتَمَوِّلَةً فَيَحْتَرِمُ بعدها. وعند العُرسِ يُلبَسُ ثوب خاص يُسمى "كَذُتْ" – كُلُّ ما يُلْبَسُ من الأثوابِ وأكثَرُ ما يُسْتعْمَلُ هذا في العُرْسِ. وذلك أن قراباتِ الزوجِ والمرْأةِ يُلْبَسُون

لِباسًا إكراما لَهمْ. وإذا زارت المرأة المتزوجة أهلها سُميت زائرةً ؛ لأنها أصبحت من بيتِ زوجها."تكْدي كَلْدي" أي جاءت زائِرةً.

وفي تأكيد الكاشغري لهذه العادة التي تقوم على احترام العريس للعروس التي يتقدم لها ليبني بها–يقول: تَيَق–العصا، ويقال "كزا كو تَيَق بيردى" أي أعطى الختن جارية أو عبدًا نزلت العروس من الفرس متكئًا عليه. وتلك عادة المياسير ليكون لها ملكًا. وفي المثال "تَيَق بلاتيماس. تنق سوزن بتماس" معناه من كان له عصا لا يزلق في الردغة. وأن كلام الشاهد لا يعرف إلا عند أداء الشهادة. واضح من هذه العادات حرص المجتمعات التركية والقبلية على تكريم العروس وإظهار احترامها.

وعادة إكرام الضيف من سمات الشعوب التركية التي تتنقل من بداية فصل الربيع حتى الخريف مثل البدو عند العرب. فإكرام الضيف صفة الشعوب البدوية. فيرد في الديوان: "سُغْدِجْ – اسم ضيافة تَدُورُ بين القَوْمِ في الشتاءِ على الترتيب" والترك قبائل كثيرة وأسماؤها أسماء أجدادهم، ثم كل قبيلة منها فرق وبطون. وجعلوا لكل قبيلة علامة خاصة لخيولها ودوابها فيعرف كل بطن منها مواشيها بهذه السمات عند الاختلاط.

يقال في المثل " اَولك تذغرْسا كوزي يلقا بلور" معناه أنَّ ربَّ البيتِ إذا أشْبعَ الضَّيف فإن عين الضيف أبدًا تكون نحو الطريق ليذهب. وهذا مثل يضرب لمن يعتذر لأهل البيت بعد الضيافة، ويستأذن للمغادرة حتى لا يثقل على أهل البيت، ويشير إلى أنَّ الشعوب التركية تحب إكرام الضيف كعادة العرب سواء بسواء. والذي يعايش القوم يجد فيهم هذه السمة باقية مترسخة في المجتمع.

ومن عادات الترك المتميزة احترام الكبير، فلهم خطاب للصغير يختلف عن الكبير، من ذلك مخاطبة الصغار بِـ"أنتَ" والكبار بِـ"أنتُم" للاحترام ويُعتبرُ من حسن الأدب في الخطاب. يقالُ"سَنْ" –أنتَ هذه اللفظةُ تقولها الترك للصغار والخدمِ ولِمنْ

كان دُون القائل في السن والمرتبة. ولمن كانتْ لهُ حُرْمَةٌ ومرْتَبَةٌ تقول له: "سِزْ" بالزاي.٦ فعند القرغيز مثل مشهور يقول "سَنْ دِغِنْ سِنِكْ سُوزْ سِزْ دِغِنْ سِلِقْ سُوزْ" معناهُ أنتَ كلمة غير مُحترم أما أنتم كلمة احترامٍ.

ومن ذلك في احترام الكبير رجلًا كان أو أنثى "يرج أخو المرأة الصغير. ويفرق بين أخي الرجل وأخي المرأة ، فيقال لأخي الرجل (إني) وهو إذا كان أصغر سنًا منه. وإذا كان أكبر سنًا منه يقال له (إجي). وأخت الرجل تسمى(سنكل) إذا كانت أصغر منه. وإذا كانت أكبر تسمى (أكا) وأخت المرأة الصغرى تسمى (بلدز). والكبيرة(أكا)" ولعل ذلك يدل على ما ميزت به الشعوب التركية القديمة من توقير الكبار وإنزالهم المنزلة التي يستحقونها.

ويذكر بعض ألقاب المسئولين "يُغرُش–هو بمنزلة الوزير من السوقة في الأتراك. ولا يجوز أن يلقب بهذا الاسم الفارس أو غيره وإن كان ذا حشمة عريضة وبسطة. وهو دون الخاقان بدرجة ويعطى له قبة سوداء من حرير ترفع على رأسه في الأمطار والثلج والحر. وذكر أيضا "كوكيوق–اسم يلقب به أكابرة الرساتيق والتركمان". وما ذكره القشغاري دال على وجود منظومة للحكم لدى الشعوب التركية القديمة قريبة من المفهوم الحديث للدولة.

كما كتب عن العلاقة بين القبائل "بوي–بالاشباع. الرهط والقبيلة والعشيرة. بالغزية. إذا استقبل الرجل ممن لا يعرف أحدهما الآخر يسلم عليه ثم يقول "بوى كم" أي من رهطك ومن عشيرتك وقومك. فيقول المسؤول "سلغر". أي رهطي قبيلة "سلغر". أو يذكر واحدًا من البطون التي ذكرت في صدر الكتاب. وهي أسامى أجداد القبائل. ثم يشرعان في السلام أو يسرعان من غير المقام. فيعرف حيئذ كل واد منهما حزب الآخر.

وقارئ الديوان يجد نفسه مستمتعًا بذكر الكاشغري بعض الأطعمة الشهيرة لدى القبائل والبطون التركية، وهو إذ يذكرها، يصفها وصفًا دقيقًا، فيعرض أولا اسم الطعام، ثم يصف بدقة كيفية تحضيره "مماتا–اسمُ عَجينٍ رَقيقٍ على قِوامِ عَجينِ القطائِفِ يُلْطَخُ بالدَجاجِ المُسَمَنِ أَوِ اللحمِ كيْلا يَسيلَ وَدَكُها إذا شُوِيَتْ ". ويذكر كذلك "تُتْمَاجْ–طَعامٌ مَعْروفٌ للتُرْكِ. وهو مِنْ دَخائرِ ذي القرْنينِ فيهمْ. وذلِكَ أَن ذا القرْنين لَمّا خَرَجَ مِنَ الظُلُماتِ قَل طَعامُ القَوْمِ فَشَكَوْا إليهِ الجُوْعَ فَقالُوا لَهُ "بِزْنِي تُتْما آجْ" معناهُ لا تُمْسِكْنا هاهُنا جْياعًا وَخَلِ سَبيلَنا حتى نَرجِعَ إلى أوطانِنا. فشاوَرَ الحُكَماءَ في ذلك حتى أَخْرَجُوا هذا الطَعامَ." ثم يذكر لنا أثر ذلك الطعام على بدن آكله فيقول: "وَهُوَ يُقَوي البَدَنَ ويُحَمِرُ الوَجْنَةَ ولا يَنْهَضِمُ سَريعًا يُشرَبُ مِنَ المَرَقَةِ بَعْدَ أكْلِ تُتْماجْ أضْعافُهُ. فَلما رَأى التُرْكُ ذلك فسمى "تُتْماجْ" وأصلهُ "تُتْما آجْ" أي لا تُجَوِّعْ.

والترك يحبون لحم الخيل ويعرفون طريقة خاصة لطبخه: " يُنْدْ اَتي يِبارْ" معناهُ أن لَحْمَ الخيلِ يفوحُ منهُ المسكُ. وهو إذا طُبِخَ ثُمَّ تُرِكَ حتى يَبْرُدَ تَفوحُ منهُ رايحة حَسَنَةٌ. ولا يزال الترك حتى الآن يستطيبون لحوم الخيل ويقدمونها لضيوفهم في المناسبات الهامة لديهم.

و"قَزِي" طعامٌ معروف عند الشعب القرغيزي يُقَدَّمُ للضيفِ العزيز، ورثناه عن أجدادنا القدماء وهو يذكره في الديوان:" قَزي–هو عُكَنُ بَطْنِ الإنْسان وسَمْنُ بَطْنِ الخَيْلِ. يُقالُ مِنْهُ " يُنْدْ قَزِيسِي ياغْ" معناهُ أَنَّ سَمْنَ بَطْنِ الخَيْلِ سَمْنٌ. وأَحَبُّ اللحمِ إلى التركِ ذاكَ."

ومن هنا ندرك أن الأطعمة التركية أغلبها من اللحم واللبن والدقيق وبعضها وُرِثَتْ وبقيت إلى يومنا هذا مثل قِمِز وقَزي بِشَكْلِهما واسمهما السابق.

ومما سطره صاحب ديوان لغات الترك عن عادات الترك في ملابسهم من أنواع الأقمشة والألوان ما يلي:" اُرُقْلُقْ يُونْكْ – الصُّوفُ الذي أُعْدَّ لِيُتَّخَذَ منهُ الحَبْلُ." ، وأيضا: "قُلْ جُكْرَكْلَنْدي"أي صار العبدُ ذا لِباسٍ مِنْ صُوْفٍ ولَبِسَهُ. ، وأيضا: "قَرْسْ– الكساءُ مِنْ وَبَرِ الأبِلِ وصُوفِ الغنم." ومن هنا نعرف أن الترك كانوا يستخدمون الصوف كثيرًا في الملابس وبعض الأمور الأخرى.

كما يأتي في المثل " قِلْنُو بِلْسا قِزِلْ كَذارْ. يَرانُو بِلْسا يَشِلْ كَذارْ" معناه إذا عَرَفَتِ المَرْأَةُ حُسْنَ الدَّلالِ والغُنْجِ لَبِسَتْ حَريرًا أَحْمَرَ. وإذا عَرَفَتْ حُسْنَ التَّمَلُّقِ واللَّطافَةِ تَلْبَسُ حَريرًا اُرْجوانِيّا. يعني أن الزوجَ يُكْرِمُها بِهِ. أي أن الحرير كان لدى نساء الترك في مرتبة عالية، وألوانه تشير إلى الحالة المزاجية للمرأة، فإذا لبست اللون الأحمر أعطت إشارة إلى حسن الدلال والتقرب من زوجها، وإذا لبست اللون الأرجواني أفهمت ما تود من زوجها، وهذه عادة نسائية تميل إليها المرأة لتكشف رغباتها دون كلام.

" قَجَجْ–ديْباجٌ صِيْنِيّ." وهذا يدل على العلاقة التجارية بين الترك والصين في الأقمشة، "بِجِشْ–اسمُ كُلِّ قِطْعةٍ من الديباجِ يُعْطى لِمَنْ حَضَرَ ضِيافَةَ الأكابِرةِ والولائمِ."

وفي كل زمان يتواجد الغني والفقير، بيد أن الفروق واضحة بينهما في الزينة واللباس، فيذكر الكاشغري في ديوانه إلى أمور قريبة من هذا حينما يذكر لباس أكابر القوم وأولادهم "بوت–اسم كل فيروزج عظيم ذو قيمة يعلق على نواصي الأكابرة وبناتهم. يقال منه "قز بوت أريدى" أي وضعت الجارية ذلك.

ومن عاداتهم التنقل وقد وردت محدودة في ديوان القشغاري، ومما ذكره"قِشْلِقْ"– البيت الشَتَوي وكذلك كل شيء أُعد للشتاء. فالشعوب التركية شعوب بدوية تنتقل

من مكان إلى مكان طلبًا للعشب لمواشيهم أثناء الربيع حتى الخريف. أما في الشتاء فينزلون في مكان معين يُسمى "قِشْلِقْ"

استطاع الكاشغري بذكره هذه العادات أن يعايشنا المجتمع التركي، بعاداته وتقاليده في المناسبات الاجتماعية وفي أنواع الملابس وألوانها وأطعمته وأنواعها، وما يرتبط بحال حلهم وترحالهم، وهو بهذا ييسر تعلم لغة الترك إلى المتعلم العربي، من خلال تحبيب المجتمع إليه. كما أنه استطاع أن يربط التركي باللغة العربية التي اتخذها وسيلة لحفظ هذه العادات ونقلها إلى العالم العربي، وإذا أرادت الأجيال التركية التعرف على عادات أجدادهم سيلجأون إلى تعلم العربية، لكي تبقى تلك العادات زادا لهم يحمل عبير التاريخ الذين لا يزالون يستنشقونه فيلهمهم كبرياء الأجداد وعزتهم.

القضايا التاريخية:

من وسائل تحبيب التركية إلى المتعلم العربي، وطرق تحفيزه لإتقانها، تناول الكاشغري كثيرًا من الصفحات التاريخية المشرقة لعالم الترك بوسط آسيا، واللافت لكل دراسي الديوان القدرات المهارية لهذا اللغوي الكبير في مزج أصالة منهجية معجمه الهادف إلى تعليم العرب لغة الترك بما تضمنته من لهجات القبائل التركية بتسطيره قضايا تاريخية بدءًا من نشأة الشعوب التركية وأصلهم وقبائلهم التي ينحدرون منها،ومرورًا بالأحداث التاريخية التي عاصرها، والحروب التي نشبت بين الأتراك وغيرهم من الأقوام الأخرى كالفرس والصينيين خاصة، وانتهاء بأسماء البلدان والديار والشخصيات التاريخية المعروفة كذي القرنين والملك أفراسياب، والملك أرسلان تكين.

وهو بهذا العرض التاريخي يقرر أن تاريخ هذه الشعوب تاريخ عريق ناصع في مواقفه وأحداثه، يناطح تاريخ العرب، ولعل هذا ما دعاه إلى الإسهاب في سرد

بعض الصفحات التاريخية، وكأن التاريخ في فلسفته "سادٌّ لحاجة المجتمع إلى معرفة نفسه ورغبته في أن يفهم علاقته بالماضي وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافاتها"[1] والتاريخ كتابة ودراسة من الوسائل المائزة في التواصل بين الشعوب على اختلاف مشاربها، وداع من دواعي تعلم لغات الآخرين للتعرف على تاريخهم وعراقة أصولهم، وبخاصة العرب فقد كان الزمان زمانهم

ومن النماذج التاريخية التي تناولها الكشغاري نشأة الترك:

لا يشك أحد في حرص كل إنسان على البحث والتنقيب عن أصله الذي ينحدر منه، ولو أثقله هذا البحث وأضناه، فكيف يكون الأمر في دراسة نشأة الأمم والبحث عن جذورها المنسولة منها، وهذا ما تشعر به وأنت تطالع ما سطره الكاشغري بحثًا عن أصل قومه، فتراه يقول: "ترك – اسم ابن نوح صلوات الله عليه.وهو اسم سمى الله تعالى به بنى ترك بن نوح. كما ذكر الإنسان آدم عليه السلام في قوله تعالى:﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ[2]﴾.

(١) التاريخ والمؤرخون: حسين مؤنس ص٣٢-القاهرة-١٩٨٤م.

(٢) سورة الإنسان-الآية١

ففي هذا الموضع اسم يقع على الواحد. في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٦) [(١)]﴾ وكما أن الروم اسم روم بن عيصو بن إسحاق صلوات الله عليه. فسمي به بنوه كذا هذا".[(٢)]

ويتفق معه ابن كثير ويختلف، فيخالف ما ذكره عن أصل قومه قائلًا: "يَافِثُ أَبُو التُّرْكِ. ... وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ التُّرْكَ إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ حِينَ بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ وَأَلْجَأَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ فَبَقِيَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ كَفَسَادِهِمْ فَتُرِكُوا مِنْ وَرَائِهِ فَلِهَذَا قِيلَ لَهُمُ التُّرْكُ"[(٣)] ويتفق مع قوله في الروم: " ذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ إِسْحَاقَ لما تزوج رفقا بنت بتوابيل في حياة أَبِيهِ كَانَ عُمُرُهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا فَدَعَا اللَّهَ لَهَا فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامَيْنِ توأمين أَوَّلُهُمَا سَمَّوْهُ عِيصُو وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ الْعِيصَ وَهُوَ وَالِدُ الرُّومِ"[(٤)]

ومما تعقد عليه اليد في تناول الكاشغري استشهاده بالروايات الموضوعة، ليثبت من خلالها عراقة قومه ومفاخرهم، ولم يكن مضطرًا لهذا، ولكنه الاعتداد المبالغ فيه، وتاريخهم الإسلامي، وقيادتهم بجوار إخوانهم من العرب

(١) سورة التقويم – الآية٤

(٢) ديوان لغات الترك: محمود قشغاري ٢٩٣/١–دار الخلافة العلية، مطبعة عامر ١٣٣٥هـ

(٣) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ١١٠/٢–دار الفكر–١٩٨٦م.

(٤) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ١٩٤/١.

الميادين العلمية والفكرية والثقافية تلبسهم ثياب الفخر والعزة وتزين جبهاتهم كرامة ورقيًا.(١)

وتناول تاريخ القبائل المعاصرة لذي القرنين، ثم تناول ذي القرنين نفسه، ويصف بطولة جنوده وشجاعتهم وبأسهم في الحروب" أخبرنا نظام الدين إسرافيل طغان تكين بن محمد جقر طنقاخان عن أبيه قال لما وصل ذو القرنين قرب ولاية أيغور

(١) فيقول: "وإنما قلنا إن الترك مما سمى الله تعالى به لما أخبرنا به الشيخ الإمام الزاهد "الحسين بن خلف الكشغاري" قال أخبرني ابن الغرقى قال حدثنا به الشيخ أبو بكر المفيد الجر جرائي المعروف بابن أبي الدنيا في كتابه المؤلف في آخر الزمان بإسناده عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال "يقول الله جل وعز إن لي جندا سميتهم الترك وأسكنتهم المشرق. فاذا غضبت على قوم سلطتهم عليهم/ ديوان لغات الترك ١/٢٩٤/ لم يعثر على صحة رواية الحديث الذي ذكره القشغاري في مواقع الحديث المشهورة، يستعان في ذلك بـ: http://www.dorar.net،

وموقع الموسوعة الشاملة: www.islamport.com، موسوعة الحديث الشريف: http://hadith.al-islam.com

* ويذكر باحثون عدم صحة ذلك الحديث وغيره مما ذكرعن الترك وهي موضوعة مثل:"اتركوا الترك ما تركوكم"، إلا ما ورد منها من أحاديث صحيحة عن الترك في آخر الزمان فيما يعرف بأحاديث الفتن ولقد تواتر رجال الحديث على ذكرها/ ينظر بالتفصيل كتاب الفتن: أبو عبد الله نعيم بن حماد-تح: سمير أمين الزهيري-مكتبة التوحيد – القاهرة-الطبعة الأولى، ١٤١٢عدد الأجزاء: ٢

ويفندون ذلك بأن النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعاصريه لا يعرفون أية معلومات عن المناطق الواقعة فيما وراء خراسان أو شرقي فارس، ولابد أنها جاءت من الأساطير والقصص الشعبية التي كانت شائعة في أنحاء الشرق الأدنى في ذلك الوقت/ تراث الإسلام: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى١/١٤٥-عالم المعرفة-الكويت-١٩٧٨م

بعث إليه خقان الترك أربعة آلاف رجل وأجنحة قلانسهم كأجنحة الشواهين. وكانوا يرمون النبل خلفًا كما يرمون قدامًا فتعجب منهم ذو القرنين فقال "ايان خون خورنذ" أي هؤلاء استبدوا بمأكلهم لا يحتاجون إلى طعام أحد لأنهم لا ينفلت الصيد عنهم فيأ كلونه متى ما أرادوا. فسميت الولاية "خذخر" ثم قلبت الخاء ألفا وكذلك يفعل بحروف الحلق. يبدل بعضها من بعض. خصوما الخاء بالألف والألف بالخاء."[1] وإذا وجدنا ملامح المبالغة واضحة في ذكر أخبار ذي القرنين، ولعله يلمح في رواية القشغاري ما درج عليه الرواة من المبالغة في ذكر الأخبار الواردة عن ذي القرنين، إلا أننا نرى دقة في تخريج أسماء الأماكن المعهودة لدى الأيغور بوصفها أهم القبائل التركية وأكثرها امتدادًا جغرافيًا كمكان "خذخر" ويذكر ما لحقه من تغيير صوتي، فتراه مبدعًا في تمازج التاريخ مع المنهج اللغوي، محققا بذلك أهدافه السامية.

وينتقل بنا الكاشغري إلى حروب الترك بقيادة أرسلان تكين مع غير المسلمين، فقد خاض حروبًا ضارية ضد الصينيين بعد أن تولى الحكم عام ٤٨٠هـ، وقد ذكر ابن خلدون في مصنفه التاريخي أنه ولي الحكم بعد أخيه أرسلان خان، وكان شديد التقوى والإيمان مستجاب الدعوة "وكان من الغريب الدال على قصد إيمان أرسلان أنه كان عند خروج الترك إلى بلاد ساغون عليلًا فلما بلغه الخبر تضرع لله أن يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة، ويدفعهم عن البلاد فاستجاب الله دعاءه. وكان محبًا لأهل العلم والدين"[2] ومما ذكره الكاشغري في ذلك:" سألتُ عمَّنْ شاهد هذا الحرب وقلت: كيف وقعت الدبرة على الكفرة مع كثرة

(١) ديوان لغات الترك ١٠٢/١

(٢) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ابن خلدون ص١٠٨ تح: خليل شحادة–دار الفكر، بيروت–ط(٢)–١٩٨٨ م

جموعهم، فقال: ونحن أيضًا عجبنا من ذلك، وسألنا عن الكفرة ، وقلنا لهم: كيف انهزمتم مع هذا الجمع العظيم، فقالوا: لمّا ضُرِبت الطبول، وتُفِخت الأصوار رأينا بحذاء رؤوسنا جبلا اْحضَرَ قَدْ سَدَّ الأفق، وفيه أبواب لا تحصى كثرة كلها مفتوحة ترمي إلينا بِشرر من النيران، فدَهِشْنا من ذلك حتى غلبتمونا. قلت: وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الباقية في جموع المسلمين.(١)، وهذه الحروب مع أعداء الأمة من الصفحات التاريخية التي ترفع أقدار الأمم وتنير الدرب لأحفادهم.

وتحدث عن الشخصيات التاريخية وأسماء الأماكن المعروفة بتاريخها العريق، وكذلك أسماء الأطعمة وغيرها، مسجلا بذلك سطورًا من تاريخ هذه الأمة العريقة، مبينًا من وراء ذلك عن اعتداده بهذا التاريخ الضارب في عمق الماضي السحيق، ومسطرًا صفحات مشرقة من جهادهم في سبيل نشر الإسلام والدفاع عنه، جاعلًا من ذلك سبيلًا إلى تحقيق غرضه من ديوانه تعليم العرب لغته وإبهارهم بتاريخ أصحابها.

وفي تناول تاريخ هذه الأمة العريقة في هذا المعجم الفريد باللغة العربية يؤكد ما عرف من قدراتها الهائلة في حفظ حضارة الأمم وتواريخها، وتمثيلها الجسر العالمي في تواصل الأمم وتقاربها، وبهذا يسوق بني مجتمعه إلى تعلم العربية التي حفظت تاريخهم وأمجاد أجدادهم.

القضايا الجغرافية:

لم يكن الكاشغري في ذكره القضايا الجغرافية أقل اهتمامًا منه في ذكر القضايا التاريخية، وإنما تجده كثيرًا ما يقرن بينهما، ويمزجهما في سياق منهجه المعجمي، فترى ذات الشهرة والأثر، ومن فرائده الكاشفة عن عقلية جغرافية رائدة

(١) ديوان لغات الترك: ١/٧٩

سبقه بتلك الخريطة الدائرية العالمية بألوانها ودقتها، وبها أصبح لديوانه دورًا علميًا كبيرًا في جغرافية هذا البلاد، وبات مصدرًا ملهمًا لكل باحث، لذا يقول بعد رسمه الخريطة: "فجل بلاد الترك من لدن الروم إلى ماصين خمسة آلاف فرسخ في عرض ثلاثة آلاف فرسخ. فيكون الجملة ثمانية آلاف فرسخ. فإني قد بينت كل ذلك في الدائرة التي هي شكل الأرض ليعرف ذلك"(١).

كما تحدث عن القبائل التركية التي قطنت تلك الأماكن:"الترك في الأصل عشرون قبيلة...فإني عادٌّ أمهات القبائل وتارك الحلل إلاّ بطون الغُزية التركمانية...فأول القبائل قرب الروم بَجَنَكْ ثم قفْجاقْ ثمّ أُغُزْ ثم يَماكْ ثمّ بَشْغِرْتْ ثمّ يَسْمِلْ ثُمّ قاي ثمّيَباقو ثمّ تَتارْ ثمّ قِرْقِزْ وهذه قربَ الصِّين. هذه القبائل كلها بِحِذاءِ الروم مُمْتَدَّةٌ إلى الشرق ثمّ جِكِلْ ثُمَّ تُخْسي، ثمّ يَغْما ثمّ إغْراقْ ثمَّ جَرُقْ ثمّ جُمُلْ ثمّ أيْغُرْ ثُمّ تَنْكُتْ ثمّخِتايْ وهي الصِّينْ ثمّ تَقغاجْ وهي ماصين وهذه القبائلُ متوسطةٌ بين الجنوب والشَّمالِ فبيَّنْتُ كُلَّ واحدةٍ في هذه الدائرة". (٢)

ودقة الرجل تنم عن خبرة كبيرة بالقبائل التركية وأماكنها، فيحدد بحيرة إسيك–كول المشهورة، وبرسقان، وبالاساغون في وسط الخريطة بوصفها مركزًا للعالم، وقد ذكر أيضًا في ديوانه أعظم مدن عصره، والتي لا تزال موجودة في الوقت الحاضر ، منها مدينة "برسقان". حيث ذكرها في مواضع كثيرة وقال: "بَرسغانْ – اسمُ وَلَدٍ لِأفراسِياب. وهو الذي بنى "برسغان". وهي مدينةٌ منها أبو "محمود" (يقصد

(١) ديوان لغات الترك، محمود قشغاري الجزء٣، ص: ٢٧.

(٢) ديوان لغات الترك، ط.ق. تشوروتيغين، بشكيك، مطبعة قرغيزستان، ١٩٩٠م، ص:٤٨–٤٩ .

والده– محمد حسن كشغاري). وقيل بأنهُ اسمُ سايس كانَ لملك "أيغُرْ" يسوس الخيلَ في ذلك الموضعِ لِطيبِ هَوائهِ ثم نُسِبَت الْبَلْدَةُ إليهِ".[١]

كما ذكر الكاشغري تَلَسْ (طلاس) في موضعين: "تَلَسْ–الْمَقْبض. وهو الْحَبْلُ الَّذي يُمَدُّ في الغايةِ في سِباقِ الخيلِ وضربِ الصَّوْلَجان".[٢]، وفي موضع آخر قال: "تَلَسْ–البَلْدَةُ الْمَعروفة بـ "طراز". وهما اثنتانِ. إحداهما "أُلغ تلاس" أي الْكَبيرة والثانية في ثغر الإسلام "كَمي تلاس". يُقالُ للوَجْه الساهِمِ "تلاسْ يوز".[٣] ، وذكر في موضع آخر أنَّ: "كمي تَلاس – اسمُ ثغر لأُيغُرْ".[٤]

وتحدث عن مدينة طاشقند عاصمة أوزباكستان: "تَرْكَنْ–اسمُ الشاش. وهي الْبَلْدَةُ التي منها أبو بكر القفالُ الشَّاشِيُّ وأصْلُهُ "تاشْ كَنْدْ" أيْ بَلْدَةٌ مِنْ حِجارَةٍ".[٥] وذكر الصين بقوله: "تاقغاج–هو اسمُ ماصين. وهُو بَعْدَ الصِّينِ بِمَسافَةِ أرْبَعَةِ أشْهُرٍ". وذكر أنَّ الصين في البداية كانت تنقسم إلى ثلاثة أجزاء: "ثمَّ الصينُ ثالثٌ في الأصْلِ: العُلْيا في الشرقِ "تقغاج". والوسطى "خطاي". والسفلى "بَرْخان" وهي بكاشغار. لكنَّ "تقغاج" يعرف الآنَ بِـ"ماصين" ثم "خطاي" بـ "صين"".[٦] وذكر اليابان في قوله: "وأما أهل جابرقا لا يعرف لسانهم لبعدهم وحيلولة البحر الأعظم بينهم وبين ماصين".

(١) ج٣،ص٣٠٨

(٢) ديوان لغات الترك، محمود قشغاري. الجزء ١ الصفحة ٣٠٦

(٣) الجزء ١ ص ٣٠٦

(٤) الجزء ٣ ص ١٦٥

(٥) ديوان لغات الترك ج١، ص٣٦٩

(٦) ج١، ص ٣٧٨

وذكر "سمرقند" و"سغد" وأهل السغد بقوله: "سُغْداق–قوم نزلوا "بلاسغون". وهم من "السُّغْدِ" الَّتي بينَ "بُخارا" و"سمَرْقَنْدْ". إلا أنهمْ تَزَيَّوْا بِزَيّ الاتراك وتخلَّقوا مَعَهُمْ".(١) ، وقد ورد ذكر "سمرقند" و"بلاساغون" في قصة تسمية تركمان بالغُزية.

كند القرية دون البلد. ومنه يقال لكاشغر "أردوكند" أي بلد الإقامة. ومنه يسمى قصبة فرغانة " أُزْكَنْد" أي بلد أَنْفُسِنَا. وكذلك يسمى "سمركند" أي بلدة سمينة لكبرها.

بَرْخان–هو اسمُ الصِّين السُّفْلى وهُوَ حِصْن على شاهِقِ جَبَلِ قُرْبَ كاشْغار. تحْتَهُ معادِنُ الذَّهَبِ.

بَرْجُقْ–بَلْدَةٌ بناها أفراسيابْ الَّتي حَبَسَ فيها "بيزَنْ" وهو "بُخْتُ نَصَّرْ".(٢)

كما ذكر كثيرًا من البلاد والقرى والأودية التي اشتهرت في بلاد تركستان القديمة وعددًا من الأودية ونهر جيحون وبرسقان وطراز ومن يسكن حوله من القبائل: "إحداها قوم من أهل الوبر يسكنونَ بـ "قباس" ، وهي بلدة بعد "برسغان". والثانية بليدة قرب "طراز" تسمى "جكِلْ" أيضًا. وهو الأصل في تسمية هذا. وذلك أن ذا القرنين لما وصل إلى بلادِ "أرغو" حلّ السحابُ عزاليها فتوحل الطريق فأصابه من ذلك تعبٌ شديدٌ ،وقال بالفارسية "اين جِكِلَ اسْتْ" معناهُ ما هذا الطين لا ننجو منه. فأمر باتخاذِ بناء ثمة من سكن من الأتراك في ذلك الحصن يسمى "جكلي". فانتشر هذا الاسم بعده.

معروف بأن الكاشغري لغوي كبير، لكنك واجد منه براعة في تحديد الأماكن والمدن وخصائص أهلها وصفاتهم، مما يدنيه من المفهوم الحديث لعلم الجغرافيا، ويزيد عليه في تلك المقدرة على بسط هذه القضايا الجغرافية في سياقات عربية

(١) ج١، ص٣٩١-٣٩٢

(٢) ديوان لغات الترك ،ج١ ص٣٨٨

بديعة، ليتعرف عليها المتعلم العربي للغة الترك، وإظهار العربية رائدة في حفظ جغرافية قومه ونقلها إلى العالم العربي، وأنها جديرة بتعلمها، ومستحقة أن تحظى بقبول عالم الترك لها، ورضاه عما أدته لهم من حفظ أماكن أجدادهم، ومدنهم التاريخية، وقراهم وأوديتهم.

ونخلص من هذا بأن العالم الكبير محمود الكاشغري امتلك مهارة فائقة ووعيًا لغويًا وحصافة مشهودة في تحبيب اللغة الهدف (التركية) إلى المتعلم العربي، باحتواء ديوانه على هذه الثقافة الواسعة التي قطفت ثمارها من بساتين الأدب التركي الثري شعرًا كان أو نثرًا، ومن العادات والتقاليد المميزة للقوم، ومن التاريخ الضارب في أعماق التاريخ ثم من جغرافية هذه البلاد المعروفة بجمال الطبيعة النضرة،

كما أنه امتلك مقدرة تفرد بها في التعريف باللغة العربية، والدعوة إلى تعلمها، بأن أبان لأبناء عالم الترك الكبير سعة العربية وحيويتها واستيعابها لمكونات الثقافة التركية وتاريخهم وجغرافيتهم المترامية الأطراف، وأنها اللغة الإمام وغيره مأموم، وهل يملك من يدرك ذلك إلا الإقبال عليها والجد في تعلماها.

الخاتمـــة

بعد هذه الوقفات العلمية مع العلامة محمود الكاشغري في كتابه (ديوان لغات الترك) والبحث في أثره الخالد يمكننا القول بأن محمود الكاشغري من فلاسفة الأمة اللغويين الذين تركوا ما يخلد ذكرهم ويرفع شأنهم بين عظماء الأمم، وقد استطعنا التوقف عند بعض النتائج البحثية الجديرة بالتحرير والتحديد:

أولًا: معجم (ديوان لغات الترك) قصد منه تعليم العرب لغات(لهجات) الترك، فهو كتاب في تعليم اللغة لغير الناطقين بها، وفي سبيل تحبيب اللغة التركية وأهلها لمتعلميها، وتحفيزهم لاكتسابها، سلك مسلكًا فريدًا، بأن كتبه بالعربية وسماه اسمًا عربيًا خالصًا، ...،... ليكون عامل جذب لطلاب العرب المقبلين على تعلم لغات الترك .

ثانيا: تنوعت ثقافة الكاشغري الإسلامية والعربية كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأدب العربي شعره وأمثاله،

ثالثا: بنى معجمه على منهجية العرب في معاجمهم وقد حدد كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي واتبع طريقته إلا أنه خالفه بأن ترك المهمل حتى لا يثقل على قارئه العربي.

رابعاً: جعل أسامي أبوابه عربية، لتكون عونًا لسرعة الفهم وسهولة التناول

خامساً: تناول العديد من القضايا النحوية والصرفية ومقارنة بعضها بما في العربية .

سادساً: احتوى الديوان على الكثير من الشواهد الشعرية في أغراض عديدة، وشرحها باللغة العربية الخالدة.

سابعاً: للقيم التربوية والأخلاقية حضور مبهر في كتابه القيم، مستهدفًا تبيين ما عليه القوم من أخلاق وتحضر.

ثامناً: استعمال الأمثال التركية ومقابلتها بالعربية لتكون عونًا على الفهم والحفظ لبعض عبارات الترك البديعة .

تاسعاً: نقل العديد من عادات وتقاليد الترك في ديوانه ليعين المتعلم والقارئ على فهم من يتعلم لغتهم ويعايشهم في صورة ما يقرأ من تقاليد لا يزال بعضها قائمًا إلى يومنا الحاضر .

عاشراً: نقل الكثير من حضارة الترك وبخاصة المواقع التاريخية ليلفت نظر الطالب إلى عظمة تاريخ من يتعلم لغته.

حادي عشر: وللجغرافيا دور بارز في نقل ملك الترك وتنوع قبائلهم وأماكنهم، وتعد خريطته فريدة في زمانها من حيث عدم اعتماده على مصادر غير بحثه وتنقله بين القبائل خمسة عشر عامًا، ولكونه خطها على شكل دائري لم يسبق إليه .

ثاني عشر: لا تصح دراسة هذا الديوان إلا من منطلق صاحبه وهدفه، وهو تعليم لغات الترك إلى العرب غير الناطقين بها.

وقد هدف من وراء هذه القضايا المنثورة في ديوانه:

- تحفيز متعلم اللغة التركية بما ذكره من أسباب الجذب كالثقافة الإسلامية والعربية التي تجمع بينه وبين متعلمي التركية من العرب، وبمجيئ معجمه على غرار معجم عربي (العين) وبما ذكر من مقارنات بين القضايا النحوية والصرفية في اللغتين، وبالقافة الراقية المقارعة لثقافة العرب وحضارتهم، في الشعر وأغراضه، والأمثال والحكمة، والتاريخ العريق والجغرافية الممتدة بمدنها ويهولها

وجبالها، وبما عند الشعوب التركية من عادات القبائل والشعوب الرحل المماثلة لما عند العرب.

- مساهمة هذه الموضوعات في تحقيق شرعنة مفرداته ودلالتها.
- كتابة معجمه بالعربية خلدته كما أراد له ذلك، وقررت في نفوس قومه الذين يرجعون إلى كتابه كأول معجم للغتهم التركية، وكمصدر أدبي وتاريخي وجغرافي وفي حفظ عاداتهم-علو العربية وتربعها على قمة العالمية وقدرتها على حفظ ثقافات الأمم وحضارتهم، وتلك دعوة لهم لتعلمها والتمكن منها وتعلم علومها وآدابها، ليكتب لهم الخلود.

إن محمود الكاشري بتأليفه هذا المعجم أصبح رائدًا في:

- ✓ تعليم غير الناطقين من العرب لغة الترك.
- ✓ تصنيف أول معجم للغة الترك ولهجاتها.
- ✓ التواصل الثقافي والحضاري بين العرب والترك.
- ✓ علم اللغة المقارن بين التركية والعربية والفارسية.
- ✓ إدراك خلود العربية وبقائها حية وموت غيرها من اللغات.

بهذا كله يعد الكاشغري من أكابر العلماء غير العرب الذين خدموا العربية وعلومها باختيارها لغة لمعجمه، ووعاء لقيم قومه وعاداتهم وآدابهم وثقافتهم وحضارتهم تاريخا وجغرافية، مما يعظم شأنها في نفوس هذه الشعوب ذات التاريخ الكبير، والتي قارعت العرب في نصرة الدين وخدمة لغته، ودعوتهم إلى تعلمها.

المصادر والمراجع:

١. أثر استخدام اللغة الوسيطة في تدريس المفردات العربية للناطقين بغيرها/ يوسف صبيح الفقهاء/ رسالة ماجستير/ الأردن ٢٠٠٩م

٢. الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم الأندلسي، تح: أحمد محمد شاكر–دار الآفاق الجديدة–ط(٢)–١٩٨٣م

٣. الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية: راغب السرجاني / دار النصرة الإسلام–(د.ت).

٤. أسس علم اللغة: أحمد مختار عمر ص ٢٥٤–عالم الكتب–ط(٨)–١٩٩٨م.

٥. الأمثال العربية ومصادرها في التراث. محمد أبو صوفة. مكتبة الأقصى/ ط الاولى

٦. الإنسان ذلك المجهول: أليكسس كارليل–من كتب الجوائز العالمية–١٩٣٥م.

٧. أهمية الأمثال في تراث الأمة. يوسف بن علي بن رابع الثقفي. مكتبة الطالب الجامعي. مكة المكرمة. ١٩٨٦.

٨. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير–دار الفكر–١٩٨٦م

٩. تراث الإسلام: جوزيف شاخت كليفورد بوزورث، تعليق وتحقيق: شاكر مصطفى–عالم المعرفة–الكويت–١٩٧٨م

١٠. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: شوقي ضيف–دار المعارف.

١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي تح: د. عمر عبد السلام تدمري-دار الكتاب العربي-لبنان/ بيروت.-ط(١)-١٩٨٧م.
١٢. تاريخ العرب وتاريخ الشرق الأوسط الحديث-مقالة-المدونة الأكترونية.
١٣. تعليم العربية لغير الناطقين بها/ مناهجه وأسسه/ رشدي أحمد طعيمة ومحمود الناقة/ مشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو
١٤. تعليم اللغة العربية اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات/ رشدي أحمد طعيمة ومحمود الناقة/ مشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو
١٥. تهذيب اللغة -أبو منصور الأزهري-تح: رياض زكي قاسم-دار المعرفة-بيروت-لبنان-ط(١)-٢٠٠١م.
١٦. ديوان الأعشى / تحقيق وتعليق/ محمد حسين/ رمل الإسكندرية ١٩٥٠م
١٧. ديوان ذي الرمة/ش: أحمد حسن بسج/ دار الكتب العلمية/ ط الأولى سنة ١٩٩٥م
١٨. ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري ت/ دربة الخطيب ولطفي الصقال/ المؤسسة العربية بيروت لبنان
١٩. ديوان لغات الترك/ محمود كشغاري/٣/دار الخلافة العلية-مطبعة عامره
٢٠. ديوان امرئ القيس ش: الوزير أبي بكر عاصم بن أيوب/ المطبعة الخيرية المنشأة الجمالية ١٣٠٧هـ.

٢١. روائع الأمثال الشائعة. محمود توفيق أبو علي. دار النفائس. لبنان. ط١. ١٩٨٩.
٢٢. شرح النووي على مسلم يحيي بن شرف أبو زكريا النووي/ دار الخير- ١٩٩٦م
٢٣. الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة-١/٧٦ دار الحديث، القاهرة-١٤٢٣ هـ.
٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م
٢٥. القضايا الأساسية في علم اللغة: كلاوس هنسن-ترجمة وتعليق سعيد حسن بحيري-مؤسسة المختار للنشر والتوزيع-ط(١)-٢٠٠٣م.
٢٦. لسان العرب ابن منظور-دار صادر-(د.ت).
٢٧. اللغة العربية واللغات السامية والشرقية: محمد صالح توفيق - ط(١)- الرياض-٢٠١٠م.
٢٨. مباديء تعليم وتعلم اللغة/ دوجلاس براون/ ترجمة/ العميد الشمري/ مكتبة التربية العربية
٢٩. مجمع الأمثال. الميداني. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. من منشورات عيسى البابي الحلبي وشركاه. ١٩٧٨.
٣٠. محمود الكاشغري وأثره الخالد (ديوان لغات الترك) فاضل ناصر كركوكلي-موقع نحن التركمان.
٣١. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب ص ١٩٩-مكتبة الخانجي بالقاهرة-ط(٣)-١٩٩٧م.

٣٢. المعاجم العربية–مدارسها ومناهجها: د. عبدالحميد أبو سكين–الفاروق الحديثة للطباعة والنشر–ط(٢)–١٩٨١م.
٣٣. مقدمات العلوم والمناهج: أنور الجندي (ج٤)–دار الأنصار–مطبعة التقدم–القاهرة–١٤٠٩هـ.
٣٤. مقالات" رحلة العلم من الصين إلى بغداد" محمد مهدي بيات ٢٠١١م.